الجامعة اللبنانية

كلية الحقوق والعلوم السياسة والإدارية

الفرع الأول

منصات التواصل الإجتماعي وأثرها على العلاقات الدولية

الولايات المتحدة الأميريكية نموذجاً

رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلاقات الدولية

إعداد

طه الحصري

لجنة المناقشة

الدكتور علي شكر	**الأستاذ المشرف**	**رئيسا**

٢٠٢٠-٢٠٢١

المقدمة

خلال العقد المنصرم، وتتويجًا للتطور الهائل الذي حصل في قطاع الإتصالات عامة والإنترنت خاصة، تم تطوير شبكة من المنصات تعمل بطريقة مبتكرة، حيث تسمح للمستخدمين أن يتحكموا بصفحاتهم الخاصة. هذه المنصات تعرف بمواقع التواصل الإجتماعي (Facebook, Twitter...). طريقة عملها تختلف عن سابقاتها من مواقع الكترونية على شبكة الإنترنت، الخوارزميات(Algorithms) أي البرامج المشغلة لها، لديها هدف يكاد يكون وحيدًا، وهو مضاعفة الأرباح الماديَة بشكل لا نهائي. لذلك المواقع التي أُنشئت لجمع الأقارب والأصدقاء والتفاعل الإفتراضي بينهم تحولَّت الى منجم للمعادن الثمينة يتهافت الجميع لأخذ حصته منه.

إنَّ طريقة العمل تلك تحولّت من الهدف الربحي المقصود إلى نتيجة إجتماعية وسياسيّة لم تكن في بال المطورين وكاتبي الخوارزميات. أصبح المتابعون والمتابعات مدمنين على هذه المنصات وتشكلت لديهم العديد من المشاكل النفسية والقلق والإكتئاب، هذا على الصعيد الشخصيّ والذي بدوره أدّى على الصعيد الإجتماعيّإلى تدمير التواصل الحقيقي الصريح بين البشر. أمّا على الصعيد السياسيّ فإن النتيجة هي المزيد من تباعد وجهات النظر وعدم التوّصل الى أرضية مشتركة للحوار مما ساهم الى صعود اليمين المتطرف والتباعد بين القطبين الأساسيين في الولايات المتحدة الأميركية(الديمقراطيين والجمهوريين). تتوجّت هذه التحولات بوصول أشخاص شعبويين إلى السلطة في العديد من الدول الغربية الديمقراطية أبرزهم دونالد ترامب، ولو أنه لم يفز في ولاية رئاسية أخرى إلا أن هناك حوالي ٧٠ مليون ناخب(٤٦.٩٪) أدلوا بأصواتهم له، أي أن الشعبوية ما زالت منتشرة في الولايات المتحدة.

النظام الدولي القائم حاليًاعرف شكله النّهائي بعيد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث وجود الدول التي لم تفز بعدما اجتمعت في عرض المحيط الأطلسي وتشاورت على مبادئ النظام العالمي مستقبلًا. ولأنَّ هذه الدول انتصرت، كُتب لتصوراتهم أن تصبح حقيقة ملموسة. هذا النظام قائم على عدّة أسس أبرزها الحريّات بكافة أشكالها للبشر(الإعلان العالمي لحقوق الإنسان)، منها حرية

التواصل والوصول إلى المعلومات والحرية الصحافية وغيرها. ولكن التواصل والوصول إلى المعلومات والصحافة تطورت وحتى تبدّلت منذ ذلك الوقت إلى اليوم.

إن أبرز الأسباب الموجبة لكتابة هذه الرسالة البحثية هي متابعة موضوع جديد نسبيًا على الساحة الدولية يرجّح أنّه سيؤدّي إلى تغيّرات . وترامب، وهو رئيس شعبوي كما ذكرنا، إنسحب من العديد من الإتفاقات والمنظّمات الدولية التي هي أساس النّظام الدولي القائم حاليًا، هذه التصرفات شبيهة بالتحولات الفاشية والنازية في النصف الأول من القرن العشرين، وكما حدث في ذلك الوقت فماذا يمنع من حصوله مجددًا. وبالتالي،

تكمن أهمية الرسالة بتسليط الضوء على مخاطر وسائل التواصل الإجتماعي الشخصيّة والإجتماعيّة والسياسيّة، والتغيرات التي طرأت وتطرأ على العلاقات الدوليّة جراء التباعد القطبي بين العديد من المكونات(يمين،يسار–ديمقراطيين،جمهوريين...)، والتي من الممكن أن تؤدي الى صراعات وحروب. أما بالنسبة للأهمية العلمية فهي محاولة متواضعة في تطوير المعرفة في مجال العلاقات الدولية.

الإشكاليات:

- ما تأثير التواصل وانتقال المعلومات بين البشرعبر التاريخ على العلاقات بين المجتمعات والملكيات وبعدها الدول؟
- كيف تعمل مواقع التواصل الإجتماعي وما هو تأثيرها النفسي والإجتماعي والسياسي؟
- ما مدى تأثير مواقع التواصل الإجتماعي على العلاقات الدولية؟
- هل هناك من إمكانية لحصول صراعات دوليّة بسبب إنتشار الأفكار المتطرّفة والشعبويّة؟

الفرضيات:

- مواقع التواصل الإجتماعي تؤثّر بشكل كبير على مسار العلاقات بين الدول بشكل سلبي .
- مواقع التواصل الإجتماعي تؤدّي الى مشاكل نفسية تنتقل الى المجتمع وبالتّالي الي السياسة، ولكن لديها بعض الإيجابيات.

- الأفكار المتطرّفة والشعبوية تؤدّي الى صراعات دولية.

للإجابة على هذه الإشكاليات تمّ اعتماد منهج التحكم والإتصال وذلك بهدف تحليل العمليّة الإتصاليّة القائمة في زمن الإنترنت ومنصات التواصل الإجتماعي ومعرفة تأثيرها على التحكم أو الحُكم وبالتّالي السياسة والعلاقات الدولية. قُسِّم البحث إلى فصلين:

الأول: نبحث فيه جميع الوسائل الإتصالية التي عرفتها البشرية من اللغة إلى منصات التواصل الإجتماعي وتحليل أثرها على كافة الصعد.

الثاني: نبحث أثر منصّات التواصل الإجتماعية السياسيّة على الصعيدين الداخلي للدول وعلى العلاقات الدولية.

الفصل الأول

الوسائل الإتصالية من اللّغة الى التواصل الإجتماعي

المبحث الأول: تطور وتبدّل إنتقال المعلومات

يتميز الإنسان عن غيره من الكائناتالحية بقدرته على النطق واستعمال اللغة والرموز للتواصل مع الأخرين، وعلى الرغم من أنَّ الحيوانات تستطيع أن تتواصل مع بعضها البعض عبر الحركات أو الأصواتكتنبيه أحد أعضاء قطيع القردة عن خطر قادم باتجاههم أو تواصل معقد أكثر كالدلافين، إلا أن التواصل البشري يبقى على درجة عالية من التعقيد بحيثاستطاع عبرها تحقيق تغيرات كبيرة على كافة الصعد الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والثقافية.

في كلّ فترة تاريخية معينة كان الإنسان يطوّر ويخترع قناة لإيصال الأفكار التي تدور في رأسه أو بكلمات أخرى وسائل للتواصل مع الأخرين، فبداية رسم على جدران الكهوف صُور بسيطة للحيوانات أو مجرد طباعة لكفّ اليد، فهنا الإنسان القديم كان يحاول إيصال رسالة معينة على الرغم من صعوبة فهمها حاليًا، بعد ذلك استخدم اللغة للتواصل فكان لكلّ قبيلة أو قرية لسانها الخاص بها الذي يميزها عن غيرها، ثم ما لبث أن اخترع الكتابة التي تطورت من صور توضيحية كالمسمارية والهيروغلافية،تُرسم أو تُحفر على الحجر، الى اكتشاف الأحرف والورق. بعد ذلك اخترع المطبعةوبدأ عصر الصُحف ليتبعه الراديو والتلفاز وحاليًا الثورة المعلوماتية والإنترنت.

إنّ كل تطور وانتقال من وسيلة إتصالية الى أخرى كان له تأثير كبير على حياة النّاس،" ولهذا، من الأهمية بمكان أن نعتبر أن تطور المقدرة الإتصالية تتشابك مع تقدّم الإنسانية، وأنّ طبيعة أنظمة الإتصال في مجتمع ما ترتبط ارتباطًا عضويًا بجميع الأوجه الأخرى للحياة اليومية للأفراد الذين يعيشونها."[1] سوف نتطرق في هذا الفصل إلى دراسة العملية الإتصالية في كل حقبة من

[1] فريال مهنا، "**علوم الإتصال والمجتمعات الرقمية**"، دار الفكر، دمشق،٢٠٠٢،ص ٢٢

تطورها ليصار إلى معرفة من المرسل والمرسل إليه وما هي الرسالة المراد إيصالها عبر القناة التي لم يتوقف تطورها، وأيضا معرفة تأثير هذه القنوات على العناصر الأخرى.

الفرع الأول: اللغة والكتابة

المطلب الأول: اللغة

استخدم الإنسان قبل الثورة الزراعية اللغة* لتحقيق هدفين أساسيين، "تحقيق الإتصال" مع باقي أفراد القبيلة و" تبادل المعلومات الحيوية مع الأخرين من أجل حماية بقائه وتأمين حاجاته المادية والروحية"[١].إذاً اللغة تجعلنا نحن البشر أعضاء في المجتمع، وتمكننا من مشاركة المعرفة والتجارب بطريقة مميزة لا يمكن لباقي الكائنات مشاركتها"[٢].

إن أول ظهور للّغة الرمزية التي تستعمل للتعبير عن المفاهيم المجردةأو بتعبير بسيط اللغة التي نتكلمها حاليًا هو ليس قبل ٤٠٠٠٠٠ عام حيث تثبت السجلات الأحفورية أن هناك تغير مفاجئ بشكل ونوعية الأدوات الحجرية المستعملة من قبل البشر في ذلك الوقت، أمّا قبل ذلك التاريخ فلم يشهد أي تطور بهذه الطريقة للأدوات الحجرية[٣]. يدل هذا الإكتشاف أنّ الإنسان إستعمل اللغة لينقل ما تعلّمه من طرق لصناعة هذه الأدوات الى الأخرين، وبالتّالي ساهم هذا الشيء بعملية البقاء، فالقبيلة التي تستعمل اللغة سوف تقوم بصناعة عدد كبير من الحِراب في الوقت عينه وعبر عدة أجيال متعاقبة بسبب تعليم الأولاد طريقة الصنع، وعندها سوف تدفع المخاطر عنها بفعالية أكبر بكثير من باقي القبائل.

إذا كانت اللغة وسيلة ناجعة لنقل المعلومات ككيفية صنع الحِراب فإن تأثيراتها الإجتماعية لا تقل أهمية، فالإنسان بإمكانه أن يقلّد الأخرين بصنع آلة معينة دون التكلم، ولكن ما لا يمكن أن يقوم

---

* استخدام اللغة لم يقتصر على ذلك العصر بل تطور واندمج مع باقي الوسائل الإتصالية

[١] فريال مهنا، "**الاعلام والنظم السياسية**"، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ١٩٩٣ ، ص٧

[2] Robin Dunbar, "**Grooming, Gossip, and the Evolution of Language**", Faber and Faber, London, 1996, p.٧

[3] Ibid, p.116

به هو معرفة ما يدور بذهن أبناء قبيلته، وبالتّالي "اللغة تسمح بتبادل المعرفة بين أفراد القبيلة بحيث يصبحكافة أفرادها متفقون حول معتقدات واحدة". هذه المعرفة المتبادلة تنقسم إلى عدة أمور حياتية ما زال البشر يتحدثون عنها في تجمعاتهم اليومية حتى اليوم، فهي من طبيعة الإنسان، على سبيل المثال الثرثرة حول علاقة غرامية معينة أو إشكال بين شخصين، أو قد تكون عن الدين وما يتعلق به (في السابق كان الحديث يدور حول ظواهر طبيعية معينة تؤثر في حياة سكان القبيلة)، هذه "المعلومات الإجتماعية والتي ما كانت لتتبادل لولا اللغة، هي التي تحقّق ترابط الجماعات".[١]

العدد المثالي للتجمعات البشرية التي تعتمد على اللغة والكلام في ترابطها هو ١٥٠ شخص، أي زيادة في هذا العدد يؤدّي الى إنقسام المجموعة وتصبح بحاجة الى تنظيم طبقي معين ومؤسسات تضمن التزام الأشخاص بالقواعد الإجتماعية.على سبيل المثال الشركة التي تضم أقل من ١٥٠ موظف من الممكن تنظيمها بشكل غير رسمي وبالاعتماد فقط على التواصل المباشر والشخصي بين الموظفين، أما الشركات الكبرى فتحتاج الى تنظيم إداري يوضّح لكلّ موظف ما يجب أن يقوم به ومع من يجب أن يتواصل، حيث من الصعب أن يقوم رئيس الشركة بالتّحدث مع كل موظف وإبلاغه بمهامه وأين أخطأ وماذا يجب أن يقوم به.[٢]

في حالة اللغة كقناة للتواصل بين البشر كان الإنسان هو المرسل و نظيره المتلقي ولم تكن العملية الإتصالية بهذا القدر من التعقيد، أما الرسالة فهي أَمنيّة معرفية إجتماعية. وهي إذًا وسيلة تؤثّروتؤدّي إلى ترابط البشر في تجمّعات تُقدَّر بـ ١٥٠ شخصاً بعد أن كانت تجمعاتهم تقتصر على عائلة أو أكثر في الكهوف، وهي أيضاً في بعض الحالات "شرط لقيام الحضارات"[٣]، فالإغريق اعتمدوا بشكل أساسي على الخطابة حيث قال ارسطو(الذي لم ينشر(يطبع) أي كلمة) في قصته حول الكتابة أنها إكسير للتذكير وليست للذاكرة، وتقدم الحكمة المزيفة وليس الحقيقية لأن التلاميذ

---

[1] Robin Dunbar, op. cit. , p. ١٢٦-١٠٥

[2]Ibid, p.٧٢

[3]Andrew Robinson, "**Writing And Script A Very Short Introduction**", Oxford University Press, New York, 2009, p.١

سوف يقرأون العديد من الأشياء من دون ضوابط وبالتالي سيعرفون العديد من الأشياء وهم جاهلون[1]. لذا كيف تفسر أهمية الكتابة كوسيلة إتصالية مؤثّرة على حياة البشر ومجتمعاتهم؟

المطلب الثاني: الكتابة

إختراع الكتابة تمّ في الالفية الرابعة قبل الميلاد في بلاد ما بين النّهرين ومصر، كان السبب الرئيسيّ لذلك هو تعقد التجارة والإدارة العامة بحيث لم تعدّ الذاكرة واللغة كأداة للحكام كافية للقيام بهذه المهمات بشكل فعّال وأصبح من الضرورة تسجيل كافة المعاملات[2]. على سبيل المثال الضرائب التي يستوفيها الملوك، إذ عند وجود عدد قليل من السكان بإمكان المكلّف جمعها أن يتذكر من سدد ضريبته ومن تخلّف، ولكن وجود عدد كبير من السكان في حيّز جغرافيّ معين يتوجّب تسجيل كلّ ذلك وإلّا مصدر الدخل الأساسيّ للسلطة سينقطع ويصبح المجتمع مهدد بالإنقسام الى أعداد أقل.

هذه الكتابة كانت تتمّ على الحجر مع ما يشكله ذلك من استهلاك كبير للوقت والطاقة وبالتالي فعاليتها بهذا الشكل منخفضة وكذلك تأثيراتها الإجتماعية والسياسية، ولكن رغم هذا الشيء نلاحظ أن حمورابي حاكم بابل السادس من العام ١٧٩٢ الى ١٧٥٠ قبل الميلاد كتب شريعته الشهيرة باللّغة المسمارية على حجر أسود موجود حاليًا في متحف اللوفر،هذه الشريعة هي أول قانون مكتوب حدّد أصول التعاملات التجارية وتضمن جزاءات للمخالفين مع ما يعنيه هذا من تنظيم لحياة المجتمع البابلي وزيادة في قوته، لذا كانت تأثيرات الكتابة على الحجر موجودة ولكن محدودة. وما يحد أيضًا من تأثيرات الكتابة الحجرية كالصور التوضيحية المسمارية والهيروغلافية هي أنها كتابات صورية تحتاج إلى عدد كبير من الأشكال الكتابية المرسومة لنقل وتوضيح فكرة معينة أو حادثة.

عائق الكتابة الحجرية تمّ تجاوزه باختراع الورق في القرن الثاني بعد الميلاد في الصين واستغرق وصوله عبر طريق الحرير إلى بغداد حوالي الستة قرون وبعدها الى أوروبا في القرن الحادي عشر. أما الكتابة الصورية فقد اندثرت تحت تأثير التغيرات السياسية والإقتصادية في مصر إبان السيطرة

[1]Andrew Robinson, op. cit. , p.2

[2] Ibid, p.7

الرومانية ليحلّ مكانها شيئًا فشيئًا الأحرف، حيث أنّ عدد قليل منها كثمانية وعشرون للّغة العربية وستة وعشرون للّغة الإنجليزية بالإمكان تركيبها في عدد ليس بقليل من الكلمات وبالتّالي الحصول على تعابير وجمل ولغة كاملة.[1]

يميّز هارولد إنيس بين نوعي وسائط الكتابة وتأثيرهما على الحضارات ويربطهما بالحيّزين المكانيّ والزمانيّ، فالوسيط الذي يدوم مدة طويلة من الزمن وبالتالي "الزمانيّ" كالحجر ،والكتابة عليه، يساهم في تطوّر العمران والنحت (الحضارة الفرعونيّة)، أمّا الوسيط الذي من الممكن نقله بشكل سهل "المكانيّ"، كالورق، فهو ممتاز للتّجارة وحكَمَ مساحات شاسعة من الأراضي(كمّا حصل مع روما عند احتلالها مصر الذي اتاح لها كميات كبيرة من الورق والذي كان بداية حكم امبراطورية كبيرة).ويخلّص الى أن "انتشار الكتابة أدّت إلى سقوط الجمهورية الرومانية وصعود الإمبراطورية الرومانية"[2].

وبالتاليفي عصر الكتابة كقناة للتواصل الإنساني كان المرسل بشكل عام الملك أو الحاكم كحمورابي أو الإمبراطور الروماني المتمركّز في روما والمرسل إليه هم السكان أو حكام الأقاليم المترامية والبعيدة، أما الرسالة فهي في الغالب أوامر أو قوانين، وعليه كان الإتصال عامودي وباتجاه واحد من الأعلى الى الأسفل. والجدير بذكره هنا أن اللغة بقيت قناة أساسيّة للتواصل ولم يُلْغِ اكتشاف الكتابة إستعمالاتها.

إذا كان للغة والكتابة تأثير على حياة البشر وتجمعاتهم وهما سببين لتقدمهم وحمايتهم من المخاطر المتعددة، فإن استعمالاتهم السيئة لا تقل خطورة وتكاد تبطل حسناتهما، فاللغة تستعمل للشتيمة والتفرقة بين البشر وما خطابات هتلر العنصرية ببعيدة عن هذا، أما الكتابة فاستخدمت لنقل الأفكار المتطرفة التي استعملت لنشر الفتن على نطاق واسع. "وهنا يكمن لغز اللغة: ما نستعمله

[1]Andrew Robinson, op. cit. , p.19-22

[2]Harold Adams Innis, "**Empire And Communication**", Oxford: Clarendon Press, London, 1950,p.8-51

للخير من السهل إستعماله للشرّ،... باستطاعتنا إستخدام اللغة للكذب والخداع، للدعاية والتضليل، أو للإغراء والتملّق".[١]

بعد اللغة والكتابة اخترع الإنسان وسيلة اتصالية جديدة بنيت على ما هو قائم، إنها الطباعة. يقول تشارلز كولي أنه "إذا كانت الكتابة، من خلال إضفاء صفة الديمومة على الأفكار، أنشئت الحضارات الأولى، فإن الطباعة، من خلال نشرها للكتابة وبالتالي الأفكار، فتحت أبواب العالم الحديث"[٢].

الفرع الثاني: الطباعة والصحف

تميّزت حقبة الكتابة بظهور طبقة من الكتّاب مقربة من الحكام ولديها إمتيازات كبيرة جداً، كما احتكر الملوك والأباطرة الكتابة والمعرفة والعلم، فمن يملك المعلومة يملك القوة، وبالتالي زادت قوة الحكم الملكي الإستبدادي وامتدعلى عدة قرون حتى تمّ اختراع المطبعة.

المطلب الأول: الطباعة

ظهرت الطباعة بشكل بدائي في الصين في القرن التاسع بعد الميلاد ولكن الطباعة القائمة على تِقنية الحروف المعدنية المتحركة تم إختراعها من قبل الألماني جوهانز غوتنبيرغ في القرن الخامس عشر. الملفت أن "غوتنبيرغ خشي في البداية الا تنجح تقنيته الجديدة في اجتذاب الناس الذين تعودوا على قراءة نسخ من كتب ومؤلفات مخطوطة بعناية فائقة.."[٣]ولكن سرعان ما بدأت هذه الطريقة بتغيير الوسائل الإتصالية التقليدية القائمة في ذلك العصر، ناهيك عن التأثيرات الدينية والإجتماعية

[1]Robin Dunbar, op. cit. , p.171

[2] Charles Horton Cooley, "**Social Organization**", Charles Scribner's Sons, New York, 1909, p 74

[٣] فريال مهنا، "**علوم الإتصال والمجتمعات الرقمية**"،مرجع سابق، ص ٢٠

والسياسية التي أحدثتها، فمثلاً في إنجلترا وخوفًا من تأثير الطباعة السلبيبالنسبة اليه "فرض الملك هنري الثامن الذي تولى الحكم في العام ١٥٠٩قيوداً شديدة على المطابع"[١].

كانت الأناجيل قبل الطباعة تكتب بخط اليد بإتقان وعناية فائقة، وكما ذكرنا بسبب احتكار الحكام ورجال الدين للخطاطين والكُتّاب، تحكّم هؤلاء بالمعرفة وخاصة الدينية منها، هذه السيطرة أعطتهم قوة هائلة بالسيطرة على الناس. فرجال الدين وعبر السلطة الكنسية كانوا يبيعون صكوك الغفران للعامة الذين لم يكن بمقدورهم شراء الكتاب المقدس الثمين، وبالتالي لم يعرفوا من محتواه ما يحررهم من سطوة الكنيسة، وهكذا استحوذت هذه السلطة أيضا على كميات كبيرة من الأموال عبر عملية البيع هذه وأصبحت سيطرتها كالتفاعلات الكيميائية المتتالية(Chain Reaction): احتكار للمعرفة يغذيه قوة مالية تزيد من المعرفة وهكذا دواليك.

حرص غوتنبيرغ على طباعة أناجيل متقنة لتضاهي تلك المكتوبة و ليضمن بيعها للأغنياء و بالفعل تكلّل عمله بالنجاح وعرفت هذه النسخ المطبوعة نجاحا كبيرًا. ولأول مرة أصبحت الإناجيل متوفرة أيضًا بلغات غير اللاتينية، "مما أفقد الكنيسة الرسمية إحتكارها المطلق للكتاب المقدس، وخلق حالة من التحدي للسلطات اللاهوتية"[٢]. كما أدّت طباعة الإنجيل في بريطانيا وتوزيعه بشكل مجاني على كنائس الأقاليم الى "إنهاء دور رجال الدين الذين كانوا يحتكرون مصادر المعرفة الدينية"[٣].

أصبحت الطباعة وسيلة لنشر الأفكار بطريقة سريعة وما حركة الإصلاح الديني _ التي بدأت على يد العديد من المصلحين أهمهمالقسيس مارتن لوثر _ إلّا جزء قليل من هذه الأفكار، حيث أنشأ المذهب البروتستانتي أي "الإحتجاج" على سلطة الكنيسة[٤]. هذه الحركة أدّت إلى الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت أي حرب الثلاثين عام التي اشتعلت في بداية القرن السابع عشر وانتهت بمؤتمر وستفاليا الذيكان "محطة تاريخية مهمة في تطور العلاقات الدولية، إذ في هذا المؤتمر أمست

---

[١] محمد صاحب سلطان، "**وسائل الإعلام والإتصال دراسة في النشأة والتطور**"، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢، ص٤١

[٢] فريال مهنا،"**علوم الإتصال والمجتمعات الرقمية**"، مرجع سابق، ص ٢١

[٣] محمد صاحب سلطان، مرجع سابق، ص ٤٢

[٤]موسى إبراهيم، "**الفكر السياسي الحديث والمعاصر**"، دار المنهل اللبناني، بيروت، ٢٠١١، ص ٤٢

أوروبا دولاً قومية علمانية مستقلة بعد أن كان البابا سابقاً هو الذي يتوج الملوك ويعزلهم"[١].في هذا الصدد تقول إيزنشتاين[٢] في ضوء المذبحة الطويلة التي أعقبت الطباعة،.. أن اختراع غوتنبرغ الذي حياه الجميع كفن سلمي، أسهم، ربما أكثر من أي فن حربي، في تدمير التوافق المسيحي وفي تفجير الحروب الدينية". ولكن ساهم اختراع المطبعة مساهمة جدية في إنجاح مشروع لوثر التصحيحي[٣].

هذا هو تأثير الطباعة على الصعيد الديني أما بالنسبة الى الإجتماعي والسياسي فإن تأثيراتها لا تقلّ أهمية، حيث أن التغيير في الأمور الدينية ينعكس بالضرورة على باقي الصعد وذلك لتداخلهم وترابطهم بشكل كبير جدا، فالملك هو ممثل الله على الأرض ويحكم باسمه كما أن سلطة الكنيسة تضاهي، وبل أقوى من سلطة الملوك، لذا عندما نتحدث عن انحدار هذه القوة الكبيرة، بالطبع سوف نرى تغييرات سياسية،"فالطباعة والإتصال المحسن زادا من قوة النظام التمثيلي في البرلمان... وقوة البرلمانات الصاعدة جاءت لتحد من قوة سلطة الملوك"[٤].

وهكذا تكون الطباعة قد ساهمت بشكل كبير في نقل القوة والسلطة من مركزية البلاط والملوك والكنيسة ورجال الدين الى لامركزية العامة والأعداد الكبيرة من سكان الممالك وبعدها الدول، فالمرسل عاد ليكون لفترة وجيزة من العامة من الناس وخاصة المفكرين منهم أمثال جان جاك روسو ومنتسكيو، والمرسل اليهو أيضا من العامة، أما الرسالة فكانت التمرد على السلطات القائمة وتغيير الوضع القائم، وسوف تأتي إستخدامات الطباعة في الصحف لتزيد من هذا الإنتقال وتقلب موازين القوى رأسًا على عقب، ولكن هل ستبقى القوة والسلطة لامركزية في يد الشعب وبالتّالي هل سيبقى هو المرسل في العملية الإتصالية؟

---

[١] حسين علي ظاهر، "**مدخل الى دراسة العلاقات الدولية**"، دار المواسم، بيروت، ٢٠١٢، ص ٢٣٣

[2] Elizabeth L. Eisenstein, "**The Printing Press as an Agent of Change**", Cambridge University Press, New York, 1979, p. 449-450

[٣] محمود حيدر، "**أميركا بما هي دولة دينية**"، في المنهاج، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، العدد ٥٦، بيروت، ٢٠١٠، ص ١٩٢

[4] Harold A. Innis, "**The Bias of Communication**", University of Toronto Press Incorporated, Toronto, 2008, p.5٦

المطلب الثاني: الصحف

إنَّ أول وسيلة إتصالية جماهيرية هي الصحف. من الصعب تاريخيًّا تحديد نشأة أول صحيفة حيث يرجّح الباحثون أن جريدة رومانية صدرت في عام ٥٨ قبل الميلاد باسم "الأعمال الرسمية" أو "الوقائع الرسمية" وأنَّ الإمبراطور يوليوس قيصر هو الذي أسسها وأمر كبار موظفي دولته أن يدوّنوا جميع أعمالهم اليومية على لوح يعلق في الميادين العامة. هذا كان قبل إكتشاف المطبعة التي أدت الى "ثورة نشر الأنباء وتناقلها وفي تقدم الصحافة وسرعة إصدار الصحف وانتشارها"[١]، لذا أشهر جريدة بعد إكتشاف المطبعة هي "لا غازيت" التي كانت اسبوعية في ثماني صفحات، وكانت تنشر أخبار فرنسا وأوروبا، وفي سنة ١٦٦٥ ظهرت جريدة "الجورنال دي سافان" أو "صحيفة العلماء" وكانت علمية وسياسية. بسبب هذا الإكتشاف الجديد وسرعة إنتشاره بين الناس، حيث يؤثّر على الرأي العام و ينشر الفضائح كفساد الحكام، شنّ هؤلاء في البلاد الأوروبية "حربًا شعواء على الصحافيين واستخدموا أشدّ وسائل العنف ضدهم....أما الولايات المتحدة الأميريكية فلم تضطهد الصحافة في ذلك العصر".

شهدت الصحافة أخذ ورد في حريتها حيث ازدهرت بشكل كبير مطلع القرن التاسع عشر خاصة بعد الثورة الفرنسية وإعلان حقوق الإنسان، بعدها تعرّضت مرة أخرى للقمع ولكن الآن على يد نابليون بونابرت الذي أصدر قانوناً حدّ من حرية الصحافة "ولم تعد الضرورة تقضي بوجود غير صحيفة واحدة هي جريدة "Le Moniteur" الناطقة بلسان القنصل الأول، وغير صحافي واحد هو نابليون"[٢] وهو الذي قال: "إني أوجس خيفة من ثلاث جرائد أكثر مما أوجس من مائة الف مقاتل"[٣].

---

[١] عبدالله حسين، "**الصحافة و الصحف**"، دون دار ومكان نشر، ١٩٤٨، ص١٠-١١

[٢] حسن الحسن، "**الإعلام والدولة**"، مطابع صادر، بيروت، ١٩٦٥، ص ١٥-١٦

[٣] عبد الله حسين، مرجع سابق، ص ٢١

وحدث أيضًا سلوك مماثل في روسيا الملكة كاترين ونمسا الملك جوزيف الثاني وإلمانيا الملك فريديريك الثاني، حيث استخدم هؤلاء جميعاً إعلام تلك الفترة(الصحف) كي يضمنوا تبعية شعوبهم.[١]

بسبب الضرائب المفروضة على الصحف والتكلفة العالية للطباعة كونه إختراع جديد، كان إصدار وطباعة ونشر الصحف ذات تكلفة عالية، ما انعكس على تداولها الذي اقتصر على طبقة الأغنياء فقط. تغير هذا الواقع عندما نشرت الصحف الإعلانات وبالتالي أصبح الثمن الذي يدفعه القارئ يشكّل جزء قليل من إيراداتها. كما أن الصحف كانت مملوكة من قبل أشخاص وعائلات ولكن التحول الذي أصابها بالنسبة الى نشر الإعلانات والتغيرات الإقتصادية وخاصة الرأسمالية، دفعها الى التحول الى شركات تهدف الى توظيف المال من أجل الربح. في هذا الصدد نشرت جريدة سبكتايتور الإنجليزية مقال جاء فيه:" إن تحويل الصحف الإنجليزية الى شركات...قد إزداد وضوحًا وبسرعة منذ الحرب العظمى الأولى. والأرجح أنه سيكون من أخطر المشاكل التي ستواجه الديمقراطية* في هذه البلاد"[٢].

كغيرها من الوسائل الإتصالية المذكورة حتى الآن، للصحف تأثيراتاقتصاديةوإجتماعية وسياسيةتكاد تضاهي تأثيرات باقي الوسائل مجتمعة، حتى بعد إختراع تلك الإلكترونية كالراديو والتلفاز، بقيت الصحف تلعب دور "السلطة الرابعة" ويهابها الحكام والملوك لما لها من تأثير على الرأي العام، وذلك لأنها "تمتلك ... خصوصية متميزة وثابتة وهي عنصر القراءة...،فتأثير الكلمة المكتوبة كبير لإنَّها تؤمن للقارئ الفرصة الكافية للتمعن واستيعاب المدلول، إضافة الى حرية الرجوع إليها والاستمتاع بها عند الرغبة"[٣].

تأثير الصحف الإقتصادي هو عبر نشرها للإعلانات التي تدفع بعجلة الإقتصاد وثقافة الإستهلاك، ونظراً لانتشار الصحف على شريحة واسعة من الناس "أصبحت الجرائد جزء من مكنة

---

[١] فريال مهنا، "**الإعلام والنظم السياسية**"، مرجع سابق، ص ٢٥

*إن تأثير الصحف بشكل خاص والوسائل الإتصالية بشكل عام على الديمقراطية سيكون محط البحث لاحقا

[٢] عبد الله حسين، مرجع سابق ص ٩٣-٩٤

[٣] علي عواد، "**الدعاية والرأي العام**"، مؤسسة نزيه كركي، بيروت، ١٩٩٣، ص١١٠

التوزيع الإقتصادي"[1]، بالإضافة الى أن الأخبار الإقتصادية المنشورة في الصحف قد تؤدّي الى خضّات إقتصادية على سبيل المثال ما حدث أثناء إنهيار الأسهم يوم الثلاثاء الأسود في تشرين الأول من العام ١٩٢٩ وبداية الركود العظيم حيث أدّت الأخبار المنشورة في الصحف إلى ذعر في الأسواق وبالتالي سقوط أسرع للأسهم والإقتصاد.

أما إجتماعيًا ، فقد ظهرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر صحف راديكالية وصلت الى كافة جمهور طبقة العمال، هذه الصحف البديلة كانت فعّالة بإعادة تقوية الوعي الطبقي وتوحيد العمال، وذلك لإنها أعطتهم نظرة أخرى عن العالم ونظام قيم بديل عن ذلك القائم، كما زادت من الثقة الجماعية بأن العمال باستطاعتهم التغيير عبر العمل الموحد والجماعي.[2]

هذا مثال واحد من ملايين الأمثلة عن قدرة الصحف على التعبئة والتأثير في المجتمعات نظرًا لفعاليتها، حيث يعتقد الأميركي كولي[3] أن أربعة عوامل أعطت الوسيلة الإتصالية الجديدة قوة تأثيرية تفوق إمكانيات أية وسائل اتصال عرفتها المجتمعات السابقة وهي:

١) قدرتها على التعبير،أي نشر أفكار وتعميم أحاسيس على أوسع نطاق ممكن.
٢) ديمومتها في الذاكرة، أي إنتصارًا على حاجز الزمان.
٣) سرعتها، أي انتصارها على حاجز المكان.
٤) إنتشارها، أي توافرها لجميع الطبقات الإجتماعية.

ويبين كولي أن خصائص الوسائل الإعلامية الجديدة (المطبوعة)....قد أحدثت، بصورة نهائية، تبدّلات عميقة في البنيات العقلية للمتلقي، وفي كيفيات تنظيم المجتمعات وأليات أدائها للوظائف المناطة بها.

---

[1] Harold Adam Innis, "**Empire and Communication**", op.cit p78

[2] Edward S.Herman, Noam Chomsky, "**Manufacturing Consent The Political Economy of the Mass Media**", The Bodley Head, London, 2008, p.61

[3] Charles Horton Cooley, op.cit. , p.3

إن وسيلة إتصالية بهذا التأثير الكبير على الإقتصاد والإجتماع من الصعب ألا تكون لها الكلمة العليا على الصعيد السياسي، وهي التي أطلق عليها تسمية "السلطة الرابعة" لعظيم تأثيرها على باقي السلطات. الصحف قادرة على صناعة الرأي العام الذي بدوره يؤدّي الى الديمقراطية بشكل أو بأخر حيث يجادل كولي أن الدول الغربية لم تصل الى هذا الحد من الحريات والدمقرطة لولا وجود الصحف ومعرفة المواطنين بالمعلومات والأخبار الهامة.[1]كما يضيف الفيلسوف الألماني يورغان هابرماس(Jurgan Habermas) في كتابه "التغيير البنيوي للفضاء العام"، " The Structural Transformation of the Public Sphere" عام ١٩٦٢ أن الصحافة المطبوعة ساعدت بدمقرطة أوروبا من خلال توفير الفضاء للمناقشة والجدال بين المواطنين المتسيسين[2].

على الرغم من التأثيرات السياسة الكثيرة للصحف منها صنع الرأي العام الذي بدوره يؤدّي الى إسقاط حكومات أو نجاح في إنتخابات، وبسبب شرح الرأي العام والتأثير فيه في الفقرة الأخيرة،فإنّ ما سنتطرق إليه هنا هو كيف أدّت الصحف الى تبنّي الدول لحريات التعبير ومساهمتها بالتّالي بنشر الديمقراطية.

نشطت في القرن التاسع عشر في بريطانيا العديد من الصحف التقريعية كصحيفة "القزم الأسود" التي كان هدفها الأوحد تحرير الفكر الإنساني تحريرًا مقيدًا بالقانون الطبيعي الذي قصد اليه جان جاك روسو والقانون الدستوري لإنجلترا. وفي أمريكا وبعد رفع دعوة على صحيفة "نيويورك جورنال" بسبب نشرها مقال عن حاكم مستعمرة نيويورك المرتشي، قام المحامي أندرو هاملتون بالدفاع عن طابع الصحيفة، وفي مرافعته قال:" إن المسألة المعروضة عليكم ليست مسألة قليلة الخطر أو مسألة خاصة...بل هي مسألة قد يكون لعواقبها أثر في حياة كل إنسان. إنها أكرم قضية، إنها قضية الحرية، كل رجل يؤثر الحرية على الإستعباد سوف يجلكم ويكرمكم، لأنكم رددتم عدوان الإستبداد بحكم نزيه، ولأنكم وضعتم أساساً نبيلاً يضمن لنا ولذريتنا ولجيرتنا ذلك الحق الذي منحتنا إياه الطبيعة وأقرته لنا الشرائع، حق فضح السلطة المستبدة ومقاومتها بقول الحق وكتابته"، ولقد أتت

---

[1]Charles Horton Cooley, op.cit. , p.٨٠-٨٦

[2]Clay Shirky, "**The Political Power of Social Media**", Foreign Affairs, 90, 1, January/February 2011, p.٣٤

ثمار فوزهم لاحقاً عند وضع الدستور الأميركي الذي نصّ على حرية الصحافة في التعديل الأول لبيان حقوق الإنسان، "ومنذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا، لم يستطع أحد من أهل الحكم أن يقضي على حق الصحافة الأميركية في نقد الحكومة"[١].

لذا "ظهرت قوة الصحف في ضمان قانون الحقوق الأميركي لحرية الصحافة"[٢]، ويقال أن "حرية الصحافة هي الشرط الضروري لحرية الإعلام"[٣]، وبالتالي إنها **القناة** التي من خلالها استطاع **المرسل**، من الصحافيين والمفكرين وكل من كتب في الصحف، أن يوصل إلى **المرسل اليه** من عامة الشعب(حيث انتشار الصحف ضمن وصول الرسالة الى الجميع)، **رسالة** التحرر من الإستبداد والسعي من أجل نيل الحريات.

ولكن طبيعة النظام الرأسمالي وتوزيع القوة في المجتمعات الرأسمالية حال دون بقاء الأمور كما هي.كما أن الصحف من الممكن إستغلالها لبث الأفكار الهدّامة أو نشر دعاية أيديولوجية معينة تؤدّي إلى حشد جماهيري هائل، ومعظم الدول إستغلت قوة الصحف لغايات معينة ومختلفة، وبالتالي هناك وجه آخر لعملة الصحافة.

التأثير الحضاري للصحف من نقل الشعوب من حالة الإستبداد الى حالة الحرية وصناعة الرأي العام الذي غيّر بطريقة الحكم وتحوله نحو الديمقراطية، اصطدم باختراع جديد سوف يُحوّل الكلمة المطبوعة والمرئية إلى كلمة مسموعة وبعدها بفترة وجيزة إلى مرئية من جديد، تأثيره لا يقل أهمية عن تأثير الوسائل الإتصالية السابقة، إنه اختراع الراديو أو الإذاعة وبعده التلفاز.

---

[١] عبدالله حسين، مرجع سابق ص ٧٤-٧٣-٢٥

[٢] علي عواد، مرجع سابق، ص١٠٧

[3] Harold Adam Innis,"**Empire And Communication**",op.cit., p.٧٩

الفرع الثالث: الإذاعة والتلفاز

المطلب الأول: الإذاعة

شهد بداية القرن العشرين إختراع لوسيلة إتصالية جديدة تعتمد على الكلام، تختصر عامل الزمان بسبب إنتقالها بشكل سريع وآني وعامل المكان لأنها تنقل الصوت لمسافات شاسعة، إنها الإذاعة. ماركوني هو من بدأ تجاربه على الموجات الإذاعية بالإضافة إلى العديد من العلماء وخاصة بعد إختراع اديسون الراديو الكهربائي. بعد الحرب العالمية الأولى ظهرت أهمية الإذاعة وانتشرت بشكل كبير في الدول الغربية، ففي العام ١٩٢٠ أنشأت شركة وستنكهوس محطةKDKA،أول إذاعة كبرى في الولايات المتحدة الأميريكية والتي أذاعت نتيجة الإنتخابات الرئاسية.

المرسل في هذه **الوسيلة الإتصالية** هو مشغل الإذاعة ومن يستدعيه للتحدث أو تقديم البرامج وهو بالتالي محصور قي عدد قليل من المستخدمين، أما **المرسل إليه** هو كل من يملك ألة لاستقبال موجات الراديو. بالنسبة **للرسالة** فهي تختلف بين مشغل(مرسل) وآخر، وتاريخياً عرفت المجتمعات نوعان من الإذاعات وهما الرسمية والخاصة.

النوع الأول تكون فيه الإذاعة تابعة مباشرة لإدارة الدولة وتخضع لرقابة الدولة من النواحي الأنبائية والسياسية والتوجيهية، هنا تكون الرسالة وطنية تخدم مصلحة الحكومة وهدفها تنوير الرأي العام والقيام بمهمة ارشاده وتوجيهه، "وقد اتجهت اكثر الدول الأوروبية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية للأخذ بنظام الإذاعة الرسمي".النوع الاخر تكون فيه الإذاعة ملك أشخاص أو شركات هدفهم الربح فقط، وبالتالي البرامج التي يذيعونها، مهما اختلفت من ثقافية أو علمية أو سياسية، يجب أن تنال الأهمية عند مستمعيهم لأنها "لا يمكن أن تستمر وتربح إلّا إذا كانت حاصلة على ثقتهم ومرضية لأذواقهم"[١].

تكمن المشكلة في البرامج السياسية لأن الإذاعات الخاصة، بطبيعتها الربحية، متطورة ومتقدمة وجذّابة وبالتالي شريحة جمهورها أوسع وتأثيراتها أكبر، لذلك عمدت بعض الحكومات إلى نص

[١] حسن الحسن، مرجع سابق، ص ٤٢-٤٣-٤٩-٤٨

القوانين الناظمة لعمل وبث هذه الإذاعات، أقلها لبرامجها السياسية. على سبيل المثال أخذت الولايات المتحدة الأميركية بالنظام الإذاعي الخاص، وبسبب التفلّت الذي حصل في إستخدام موجات البث اعتمد الكونغرس عام ١٩٤٣ قانون الإتصال للراديو والتلفزيون الذي أكدّ مبدأ أن كل فرد في المجتمع له الحق في استخدام موجات الإتصال المسموع والمرئي. شكل الكونغرس، بموجب هذا القانون، لجنة الإتصال الفدرالية[١].

تمّ إستعمال الإذاعة، كما كل الوسائل الإتصالية المذكورة حتى الان في البحث، لأهداف نبيلة وأخرى سيئة، فعلى سبيل المثال نستذكر الخطاب الشهير لوينستن تشيرشيل يوم ٤ حزيران عام ١٩٤٠ الذي نقل عبر الراديو وسمعه معظم البريطانين حيث حرص على رفع معنوياتهم خاصة بعد احتلال النازيون لفرنسا. وفي المقابل تحرص الدول في الحروب على استعمال موجات الراديو لنشر الرعب والخوف والشك في نفوس الخصم عبر بثّها الأثير على الموجات القصيرة القادرة على قطع مسافات طويلة خلف خطوط العدو أو في الصراعات الداخلية كحرب السنتين الأهلية في لبنان حيث أصبح تقريبا لكل منطقة أو حزب إذاعته التي يبث عبرها كافة أنواع "السموم" الطائفية.

المطلب الثاني: التلفاز

قبل إختراع التلفاز كان الناس يعتقدون أنه ذات يوم سوف يتمكنون من رؤية الشخص الذي يتكلم في الإذاعة، وبالفعل تمّ ذلك بشكل تجاري وممكن بعد العام ١٩٣٨ حيث استطاع "قلاديمير ازوير يكين" عام ١٩٣١ نقل الصورة عن طريق أضواء الكترونية.وكما أخرت الحرب العالمية الأولى إنتشار الإذاعة التجاري فإنّ الحرب العالمية الثانية أوقفت تطور التلفاز حتى العام ١٩٤٥، وكانت الولايات المتحدة الأميركية الدولة الأولى في انتاج الأجهزة التلفزيونية بشكل واسع ومتطور نظرًا لإمكانياتها الإقتصادية والفنية[٢]. إذًا الإذاعة والتلفاز يعتبران من نفس العائلة أو المصدر كونهما يعتمدان على الإتصالات اللاسلكية والإرسال والإستقبال ووجود نفس عناصر العملية الإتصالية من **مرسلومرسل إليهورسالة**، ولكن إستعمال العنصر البصري في التلفاز أعطى الأخير أفضلية على

[١] فريال مهنا، "**الإعلام والنظم السياسية**"، مرجع سابق، ص٧١

[٢] حسن الحسن، مرجع سابق، ص ١٨٥

الإذاعة كون رؤية الأحداث وتفاصيلها مباشرة أو بعد وقت قصير يشكل عامل جذب لمشاهدين. كما أن أنواع التلفزة مماثلة للإذاعة فهناك المحطات الرسمية والخاصة.

تطوّر التلفاز على مدى نصف قرن حتى وصل الى عصر البث الفضائي والقنوات الفضائية العابرة للقارات، ولم تستطع المحطات الوطنية منافسة هذاالتطور، وذلك تزامن مع انتشار العولمة وثقافة الإستهلاك. تتميز القنوات الفضائية بقدراتها التقنية الهائلة، من سرعة في نقل الأخبار ونقاوة الصوت والصورة، بالإضافة الى حِرَفية الإعلاميين العاملين فيها، هذه الأمور "لا تقتصر على زيادة قوة إيصال الرسالة، بل إنها تتحول هي ذاتها الى عنصر إقناع من خلال الإبهار"[١]. هذا الإقناع يتحول الى تلقي المادة الإعلامية دون أي جدل أو شك بصحة ما يبث، ويصبح مايُعرض هو الحقيقة المطلقة، وسيستفيد القطاع الإعلاني بشكل كبير من هذه العملية الإقناعية.

بسبب تطور التلفاز وانتشار التجارة الحرة في نفس الوقت تقريبًا، سادت ثقافة السوق والإستهلاك في المحتوى التلفازي، وتجسّد ذلك في الإعلانات* التي لا تخلو محطة تلفزيونية واحدة ولا ساعة بث واحدة إلا ويتم عرضها فيها، وذلك لسببين، الأول هو عدد إنتشار أجهزة التلفاز في معظم البيوت وبالتالي المحطات التي تستقطب عدد كبير من المشاهدين تكون هدفاً لشركات الإعلانات، أما السبب الاخر فهو قدرة الإعلانات الهائلة في حث المشاهدين على شراء سلعة أو خدمة معينة خاصة إذا ما تمّ إستعمال المؤثرات السمعية والبصرية بشكل جذاب ومؤثر.

بلغ الإنفاق على الإعلانات التلفزيونية في أميركا الشمالية عام ٢٠٢٠، ٦٢.٩ تريليون دولار في إحصاء لشركة Statista[٢]، وبالتالي أصبح الإعلان صناعة تقوم على أسس فنية وعلميّة، حيث

---

[١] مصطفى حجازي، "**حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوة الأصولية**"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠، ص٤٧

***الإعلان هو ما بيث للحث على شراء السلع والخدمات أما الدعاية(Propaganda) فهي ما يبث لنشر الأفكار والأيديولوجيا**

[2] موقع "Statista"، TV advertising spending in North America 2000-2022، ٢ حزيران ٢٠٢١، تاريخ الدخول ٢٢ حزيران ٢٠٢١،
statista.com/statistics/882008/tv-advertising-expenditure-in-north-america

توظف شركات الإعلانات العالمية الخبراء في علم النفس والإنتروبولوجيا، لدراسة دوافع الجمهور وسلوكاته وعاداته وقيمه وتفضيلاته، ونقاط مقاومته، ونقاط تجاوبه، وبعد ذلك يتم تسجيلالإعلان الذي يؤثر على الشريحة المستهدفة من خلال معرفة طريقة تفكيرهم وما يؤثّر على تصرفاتهم، على سبيل المثال، تُصوَّر إعلانات المشروبات الغازية في طقس حار و مجموعة من الشبان الذين يستمتعون بوقتهم، هذا يدفع الشباب في وقت المتعة والحرّ الى شرائهم لهذا المنتج، "وهكذا فسيكولوجيا الإعلان تقوم على بيع الأحلام، ودغدغة المشاعر وإثارة الرغبات"[١].

تأثير الوسيلتين الإتصاليتين، الإذاعة والتلفاز، على السياق الحضاري البشري هو مكمل لتأثير الصحافة ولكن بشكل أكبر ومعقد أكثر مما يستدعي الحديث عنه في الفقرة الاحقةفي هذا المبحث.

في كل مرة كان يتم فيها إختراع وسيلة إتصالية جديدة لتبادل المعلومات بين البشر، كان يسود الإعتقاد أن الوسيلة الجديدة سوف تؤدي الى اندثار واختفاء الوسائل الأقدم منها. ولكن ما حصل هو العكس، فالكتابة لم تلغِ أهميّة وتأثير اللّغة أو حلت مكانها بل على العكس أخذت بها وطورتها ونقلتها مكانيًا وزمنيًا، "ذلك لإنّه على الرغم من أن اللّغة المكتوبة للنّص المطبوع، خلافًا للنّص الشفهي، تتميّز في أنّها جهارية، متحررة من السياق ولها صفة الديمومة، فإنّها في الوقت نفسه تفتقر إلى تلك الخصائص التي يتميّز بها التعبير الشفهي(نبرة الصوت، حركات الوجه...) الذي يقدّم معلومات مفيدة لا غنى عنها للإتصال الإجتماعي"[٢]. بشكل مماثل، ساد الإعتقاد عند إختراع الإذاعة والتلفاز بأنّ الصحافة المطبوعة سوف تندحر، لكنها استطاعت أن تستفيد من الوسائل الجديدة في مختلف مراحل صناعة المنتج الإعلامي وأن توظّفها للتّمكّن ليس فقط من الإستمرار وإنّما أيضًا من المنافسة، وذلك بسبب تمتّع الصحف بمميزات خاصة تفتقر اليها الإعلام الإذاعي والتلفازي وهي مذكورة سابقًا. لذلك إن كل تقنية أو وسيلة أو قناة إتصالية إرسالية مكتشفة وحديثة لا تلغِ ما قبلها، ولكن تكملها وتتفاعل معها استنادًاإلى مبدأ التراكم وليس مبدأ الإستبعاد، وهي "لا تزيح من سبقها،

[١] مصطفى حجازي، مرجع سابق، ص٦٤-٦٦

[٢] فريال مهنا، مرجع سابق، ص٥٠٤

وإنما تستمر جميعاً لتختلط وتتمازج عبر ظهور وتبلور أطر جديدة ومتحركة من علاقات التنافس والتكامل والتداخل والتفاعل"[1].

الفرع الرابع:الإعلام والتأثير على الرأي العام

بعد عرض تطور قنوات إرسال المعلومات أو الأدوات الإتصالية بين البشر تاريخيًا، وإعطاء أمثلة بسيطة كيف أدّت هذه الوسائل إلى تغير في المجتمعات على كافة الصُعد، تجدر الإشارة الى أن **المرسل إليه** في العملية الإتصالية أصبح بعد انتشار الصحف واختراع الإذاعة والتلفاز، وبشكل موحد بين مختلف المجتمعات البشرية، هو الرأي العام، وبغض النظر من هو **المرسل** فإن **الرسالة** واحدة ألا وهي كسب هذا الرأي لمصلحة الأخير، ولوسائل الإتصال الدور الأبرز في تحديد الطريقة التي تتم فيها هذه العملية.

المطلب الأول: الرأي العام

تتعدد تعاريف الرأي العام نظرًا لتعقيد تركيبته في المجتمعات الحديثة ولكن جميعها تدور حول فكرة واحدة وهي أن الرأي العام هو موقف ورأي الناس في مجتمع معين، أو في بعض الحالات دوليًا (نظرًا لتطور وسائل الإتصال)، حيال مسألة أو حادث أو فكرة معينة، حيث يتم طرحها ومناقشتها بين بعضهم البعض وفي وسائل الإتصال ويسيطر على أحاديثهم، مثلاً جائحة كورونا وتأثيرها على الرأي العام العالمي من ناحية نشر الخوف لأخذ الحيطة والتباعد الإجتماعي بين البشر وكيف تفاعل الناس حيال هذا الأمر بين مؤيد للتدابير الإحتياطية ومعارض لها.

الرأي العام أساسي في علم السياسة وذلك لأنّه رأي الشعب الذي يمثّل عنصرًا من عناصر الدولة الثلاثة وهي الإقليم والشعب والسلطة السياسية ذات السيادة[2]، فمهما اختلف النظام السياسي بين ديمقراطي أو غيره فإن رجال الدولة يحرصون على هدوء وتقبّل الرأي العام لأعمالهم وقراراتهم، يقول ميكافيلي في كتابه "الأمير": "إنّ المهم هو أن يكون (الأمير) جديراً بتعلق الشعب، لأنه هو

[1] فريال مهنا، مرجع سابق، ص٢٣

[2] عصام سليمان، "**مدخل الى علم السياسة**"، منشورات الحلب الحقوقية، بيروت، ٢٠١٥، ص ١٨٩

الأقوى والأقدر"، وفي نظر توماس هوبز "العالم يحكمه الرأي العام". هذا الرأي ليس بتلك البساطة وهو إنعكاس لمجتمع تسوده التفاعلات الإقتصادية والإجتماعية والفكرية والسياسية وبالتّالي يتكون متفاعلاً بالتأثيرات التالية:"نوعية الطبقة الإجتماعية التي ينتمي اليها الفرد ونشأته وبيئته، نوع الثقافة التي تلقاها (هنا يبرز دور المدارس..)، تأثير وسائل الإتصال والتواصل، أهمية تأثير الدين والتقاليد الموروثة،... أهمية التجارب الإنسانية الماضية التي اعترضت الفرد بمفرده أو ضمن المجتمع الذي ينتمي إليه...".[١]

تتنوع أشكال الرأي العام نسبة إلى عدة معايير. هناك أنواع الرأي العام حيال مشكلة معينة وهي المؤيد والمعارض والمحايد، تجدر الإشارة هنا أن المعارضين عندما يرفضون رأي الغالبية النهائي نكون أمام رأي عام لمجتمع منقسم على نفسه، تصل في بعض الحالات إلى حد استخدام العنف والسلاح والتمرد. وهناك أنواع الرأي العام من ناحية الثقافة والتأثير وهي الموجه القائد(زعماء الأحزاب، كبار المفكرين)، المستنير–المثقف وهو رأي الغالبية المتعلمة والمتأثرة بوسائل الإعلام، والمنقاد–المنساق الذي "ينقاد ويتأثر بما يفيض عن نوعي الرأيين السابقين، يتأثر بما تحمله وسائل الاتصال، يتقبل الشائعات ببساطة ويروّجها"[٢]، إنّه ببساطة رأي غالبية النّاس في المجتمعات وهو هدف الدعاية والتأثير التي تمارسها الوسائل الإتصالية وذلك نظرًا لغياب الحسّ النّقدي عندهم. إنّ الرأي العام بمختلف أنواعه إما أن يظهر بشكل إيجابي في وسائل الإتصال أو إستطلاعات الرأي والإنتخابات، أو بشكل سلبي عند شيوع حالات الإستهتار.

كما يجب التمييز بين نوعين من الرأي العام حسب معيار التأثير: الأول عبارة عن المعتقدات التي نواتها الدين والعقيدة والعادات والتقاليد، هذا النوع من الصعب على الإعلام التأثير فيه وتغييره، أما النوع الثاني فهو سطحي يمتد من الإنتماءات الحزبية والسياسية، وهنا يكمن هدف الإعلام. لتوضيح هذا الأمر بشكل علمي وتقني يجب العودة إلى نظرية فرويد التي تحلّل اللاوعي، حيث يلاحظ أن النزعات المكبوتة، التي تستغل الفرص للقفز والظهور، تبقى كامنة في اللاشعور، والإنسان عندما يصادف حدثًاأليمًا على سبيل المثال يحاول بكل جهده على تخيل وتوهم هذا الحدث

[١] علي عواد، مرجع سابق، ص ٤٦–٥٢

[٢] المرجع نفسه ، ص ٧٠

بصورة مرضية ويلطفه بالمظهر الذي يتمناه. الفرد عندما يقرأ خبر في الصحيفة و يشاهد/يستمع للأخبار، يقوم عقله بتقدير البعد الحقيقي للخبر، لكن اللاشعور يتحرك ويتدخل كي يتعرف على نفسه في مضمون موضوع الخبر ويتحسس النافذة المهيأة لإطلاق انفعالاته المكبوتة، يستنتج الدكتور علي عواد "ان قوة العلاقة بين الصحيفة(بشكل خاص والإعلام بشكل عام) وقرّائها تنبع من النزعات والعواطف الكامنة" و "الصحفي البارع هو السيكولوجي الحاذق الذي يحاول دائماً أن يوصل الجمهور إلى التعرف على نفسه وإدراكها" من خلال ما يتم نشره على وسائل الإعلام[١].

لذلك تقوم **الوسائل الإتصالية** بنشر **الرسالة** التي تهدف إلى تغيير الإنتماءات المذكورة أنفاً عبر التوجّه الى المشاعر والأحاسيس الكامنة في اللاوعي عند الجماهير التي تكون الرأي العام. بالإضافة إلى العوامل السيكولوجيا، ""يضيف ميللر[٢] عوامل إضافية تتدخل بين المثير والإستجابة **(**ما يثيره **المرسل** و استجابة **المرسل اليه)** وهي:

١) جملة من الخصائص والصيرورات البيولوجية الإنسانية الوراثية
٢) جملة من العوامل الناجمة عن التعلم
٣) جملة من العوامل المكتسبة والمتعلمة تشكل البنية المعرفية الفردية""

هذه العوامل تؤثر على فعالية الرسالة بتغيير السلوك الإنساني الظاهري المذكور أنفًا، وهذا ما يفسر على سبيل المثال طريقة تلقي الأفراد للرسائل الإتصالية والمعلومات بصورة مختلفة نسبة الى درجة تعلمهم، واختلاف التلقي هذا هو شبيه في كافة المجتمعات، فالأشخاص المتعلمون يصعب تأثرهم بالإعلانات والدعايات التي تهدف الى تغيير سلوكهم وقناعاتهم وذلك بسبب وسع معرفتهم بما هو صحيح وما هو كاذب، أما قليلوا التعلم أو الجاهلون فهم الأكثر تأثراً بالأخبار والدعايات مهما كانت صحتها.

المطلب الثاني: تأثيرات الإعلام

---

[١]علي عواد، مرجع سابق ، ص ١١٠ –١٠٠

[٢]فريال مهنا،"**علوم الإتصال والمجتمعات الرقمية**"، مرجع سابق، ص٣١٣

الإعلام هو نشر الأخبار بين الناس، تطور تاريخيًا من التكلم الى الطباعة وصولاً إلى البث الفضائي عبر الأقمار الإصطناعية. تقوم وسائل الإعلام(وهي الوسائل الإتصالية محط البحث عندما تقوم بهذه الوظيفة،أي نشر الأخبار)، بالإضافة إلى نقل الأخبار، "بنشر المعرفة والوعي وإنماء المشاعر الحضارية السامية عند الجمهور وتوسيع أفاقه، وهي قادرة أيضاً على إبقاء الجهل وتغذية الضياع ومخاطبة الغرائز وتزييف الآراء والتضليل عن سبيل الأهداف والقيم.."[١] . بكلمات أخرى "الإعلام الجماهيري هو عبارة عن منظومة اجتماعية ممأسسة تقوم بنشاط مفتاحي يكمن في إنتاجوتوزيع المعرفة التي تستطيع أن تجعلنا قادرين على إعطاء معنى لهذا العالم، وأن تشكّل إدراكنا له،...ويسهم في تحديد مصير الجنس البشري"[٢].

كما يؤثّر الإعلام بالرأي العام والمجتمعات وصولاً إلى مصير الجنس البشري كما ذكر، فإنّ الإعلام بدوره يتأثر بجميع هذه الأمور، فهو ليس وليد العدم ولكن إنتاج البشر الذين يعيشون في هذه المجتمعات، وهو "خضع أيضًا لتغيرات بنيوية ووظيفية عديدة في مختلف أطوار التشكيلة الإجتماعية الإقتصادية الواحدة، فهو كظاهرة متحركة يعيش علاقة جدلية مستمرة مع العقائد والأفكار والمفاهيم التي يفرزها النظام الإجتماعي في كل مرحلة من حياته"[٣]. لذلك في كل نظام سياسي كان الإعلام السائد يتمتع بخصائص ذلك النّظام وتكون تأثيراته مرتبطة بشكل وثيق بالتفاعلات الإجتماعية القائمة والقوة والقيم السائدة في المجتمع، على سبيل المثال في الأنظمة الديمقراطية الإعلام يتمتع بحرية وإنّ اختلفت نسبها بين دولة وأخرى، أمّا في الأنظمة الشمولية فالإعلام تابع بشكل أو بآخر للدولة. بالمقابل ومهما اختلفت الأنظمة السياسيّة وبالتّالي الإعلامية، هناك تأثيرات مشتركة لوسائل الإعلام.

بالنسبة للتأثيرات المشتركة، تقوم الوسائل الإعلامية بوظيفة الضبط الإجتماعي، يعني ذلك أنّهاتساهم بنشر القيم وبتصحيح الأخطاء التي يرتكبها بعض أفراد الجماعة وذلك عبر نشرها لتلك الإنحرافات والتي يقوم المجتمع بدوره بنبذها هي ومرتكبيها وبالتالي تصحيح الخطأ. في السابق

---

[١] علي عواد، مرجع سابق، ص ١٠٣

[٢] فريال مهنا، "**علوم الإتصال والمجتمعات الرقمية**"، مرجع سابق، ص ٢٦

[٣] فريال مهنا، "**الإعلام والنظم السياسية**"،مرجع سابق ص ٢٧

كانت هذه الإنحرافات "التي خرق بها هؤلاء الأفراد الأنظمة والقوانين قد تكون معروفة لقطاعات واسعة في المجتمع من خلال شبكة الإتصال المباشر والشخصي"، وهذا ما ساهم بوقفها ولكن بشكل محدود، أمّا اليوم وبوجود وسائل الإتصال الجماهيري فإن "إفشاء تلك الأفعال وتعميمها... تخلق شروطًا اجتماعية ونفسية تلزم أغلبية أعضاء المجتمع بوجوب التعبير عن إدانة صريحة لهذا الخرق وضرورة استتباب القواعد الأخلاقية العامة"[١]. لذلك إنّ لوسائل الإعلام أثر مهم جدًا في نشر الأخلاق والقيم الحميدة في المجتمعات، وانتظامها على المدى الطويل، عبر نبذ الإنحرافات، إذا ما أريد لها أن تمارس هذا الدور بصدق.

كما أن لوسائل الإعلام دور في تحديد سلوك الأشخاص الظاهري، لأنّه ينقل معلومات حول قواعد التصرف الإجتماعي التي يتذكرها الأفراد بصورة يشكلون معها قواهم الداخلية والتي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بسلوكهم[٢]، وهذا التأثير هو من أبرز مقومات نظرية جوزيف ناي للقوة الناعمة وتأثرّها الدولي في كسب التأييد للسياسات الأميريكية عبر نشر نمط الحياة الخاصّ بهم كالملبس والمشرب، وهكذا رأينا كيف أدّت وسائل الإعلام إلى انتشار نمط العيش هذا في العالم وتغيرت سلوك البشر حول المعمورة لتناسب هذا النمط.على سبيل المثال عندما أدّت مشاهدة العنف التلفزي من قبل الأولاد في الولايات المتحدة الى زيادة العنف، دفع ذلك الرئيس جونسون إلى طلب تشكيل لجنة لمعرفة الأسباب وكيفية اتخاذ تدابير وقائية ضده، جاء في تقرير اللجنة أنّ الواقع الإعلامي يمكن أن يمارس تأثيرًا على المعتقدات، وبالتّالي على السلوك، وفيما يتعلق بالتلفزة فإنها "**تغرس**" معتقدات الناس.[٣]

هذه التأثيرات تتخطى حدود الأفراد الخاصة والنفسية وحدود المجتمعات لتصل الى العالم بأكمله خاصة بعد تطور وسائل الإتصال، فخطوات "نيل أرمسترونغ" الأولى على سطح القمر شاهدها

---

[١] فريال مهنا، **علوم الإتصال والمجتمعات الرقمية**، مرجع سابق ص ٣٥

[٢] المرجع نفسه، ص٢٥١

[3] George Gerbner and Larry Gross, "**Living with Television: The Violence Profile**", in Journal of Communication, Annenberg School of Communication, Spring 1976, Volume 26:2, p.194

ملايين الأشخاص حول العالم مباشرة (وما لها من تأثيرات على الحرب الباردة و حرب النجوم وبالتالي العلاقات الدولية بشكل عام)، في هذا الصدد يصل بعض الباحثين للإستنتاج أن ""العالم بيئة يحددها تجول الأخبار، أكثر مما يحددها العالم الذي يدخل الإنسان في احتكاك فوري معه، فمعظم أعمال البشر الجماعية (المتخطية للحدود)، من حروب وثورات وحكومات وطنية، تتبع للعالم الذي يصنعه الإعلام""[١].

أما التأثيرات المتميزة، فإنها تختلف بين نظام سياسي وآخر، لأنّ وسائل الإعلام تتأثر بالرأي العام السائد ثم يعود ليؤثر بها، وبالتّالي يختلف هدف التأثير النهائي،يقول ماركس أنّ الصحافة الحرة هي نتاج الرأي العام وهي تخلق بدورها، الرأي العام[٢]. لقد عرفت الأنظمة السياسية المختلفة على مرِّ التاريخ قوة التأثير الهائلة للإعلام، ولكن تمّ التعامل معها بطرق مختلفة وشبيهة في نفس الوقت.

بداية في الأنظمة الشمولية والديكتاتورية، على سبيل المثال الدول العربية بعد نيل استقلالها والدول الشيوعية، هذه الأنظمة سخرت وسائل الإعلام "علنًا" لخدمة السلطة أو الحزب أو الملك الحاكم، حيث كل شيء، كل معلومة، كل خبر يبث على الإعلام هو خاضع لرقابة مؤسسات الدولة، ناهيك عن إستعمال تلك الأخيرة للدعاية وحشد الجماهير من خلال إستعمال كافة تقنيات التأثير الإعلامي. "فالإعلام في نظرية لينين هو أداة لتربية الجماهير الشعبية وأداة لتدريب الشعب وتهذيبه، وهو وسيلة لتعليم الشعب آلية تنظيم العمل بطريقة جديدة".[٣]وهكذا لم يتلوّن الإعلام فقط بألوان السياسة ولكن أيضا كان أداة إقتصادية وذلك عندما وظفه لينين لتعليم الشعب تنظيم العمل. أمّا في الدول العربية فإنّ الإعلام هو بشكل تام إعلام دولة مع بعض الإستثناءات كلبنان، ولم تخرج الدول العربية من تلك الدوامة إلا بعد دخول وسائل التواصل الإجتماعي بيوت الناس التي كسرت احتكار

---

[١] فريال مهنا، مرجع سابق، ص ٣٣٧

[2] Karl Marx & Frederick Engels,"**Collected Works**", Lawrence & Wishart/Electric Book, London,Volume 1, Karl Marx 1835/43,2010, p.164-165

[3] Vladimir Il'ich Lenin, "**About the Press**", International Organisation of Journalists, Prague, 1972, p. 637-638

الدولة للإعلام، ولكن رغم هذا الشيء بقيت بعض الدول تحتكر موجات البث وتمارس إعلام السلطة.

في الأنظمة الديمقراطية الحالية تختلف النظرية رغم وجود بعض أوجه الشبه، فالسيطرة على الإعلام موجودة ولكن ليست "علنًا"، فالقاسم المشترك ما بين الإعلام في الدول ذات الأنظمة الشمولية وتلك الديمقراطية هو كما يقول تشومسكي :" الدعاية للديمقراطية هي كالسوط في الدول الشمولية"[1]، لذا استغلت الدول والسلطات الوسائل الإعلامية "لهندسة" مجتمعاتها. وبالتالي تأثير وسائل الإعلام هو مزيج من التأثيرات على الرأي العام سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا وثقافيًّا بشكل متزامن، وهذا هو التعقيد في التأثير الذي ذكر سابقاً.

والتر ليبمان، أحد أعضاء لجنة كريل التي فوضت اليها الحكومة الأميريكية مهمة الدعاية لحث الأميريكين على الدخول والقتال في الحرب العالمية الأولى، وبعد النجاح الهائل لهذه اللجنة، يقول أن هناك فن جديد في الديمقراطية وهو "صناعة القبول"،"Manufacturing Consent"، بهذه الطريقة سوف يُغَض النظر عن أنّ عدد كبير من المواطنين سوف يقترعون لأنه مسبقًا سوف تكون **وسائل الإعلام** قد وجهتهم حسب أهواء أصحاب القوة[2]، ويعتقد "أن وسائل الإعلام لا تتعمد مسبقًا خلق أوهام أو خداع أحد، بل على العكس من ذلك، لأن الضوابط الأخلاقية المهنية تركز على موضوعية وواقعية المعلومات، ولكن اصطفائية وتشويه الأخبار ترتبط بعوامل خارجة عن إرادة رقابة الصحفيين والناشرين، وعوامل أخرى مفروضة على عملية صناعة الأخبار. أصحاب القوة هؤلاء في المجتمعات الرأسمالية الديمقراطية والعوامل المفروضة تلك يتحدث عنهم بشكل وافي نوم تشومسكي. يجادل الأخير عن أن هناك"نموذج للدعاية"(Propaganda Model) للتأثير على الرأي العام وهو عبارة

---

[1] Pedro-Carañana, J., Broudy, D. and Klaehn, J. 2018. **Introduction**. In: Pedro-Carañana, J., Broudy, D. and Klaehn, J. (eds.). **The Propaganda Model Today: Filtering Perception and Awareness**. Pp. 1–18. London: University of West- minster Press. DOI: https://doi.org/10.16997/book27.a. License: CC-BY- NC-ND 4.0, p 7

[2]Noam Chomsky, "**What Makes Mainstream Media Mainstream**", Z Magazine, October 1997, p.٨

عن فلاتر تمرّ بها الأخبار قبل إذاعتها أو عرضها في وسائل الإعلام، هذه الفلاتر تمثل القوة والمال وتأثيراتهم في المجتمعات والمؤسسات الموجودة فيها، وهي خمسة:

الأول هو الحجم وتمركز ملكية مؤسسات الإعلام بيد قلة شبه احتكارية، فالصحافة في المجتمعات الليبرالية انضوت تحت لواء النظريات الإقتصادية السائدة من منافسة ومبادرة حرة، كما خضعت لقوانين السوق الرأسمالية كأي سلعة تحتاج إلى عملية صناعية كاملة، وكما تحدثت هذه العقيدة عن حرية الفرد و "دعه يمل دعه يمر"، بدت المنافسة الصحافية اداة للحرية والموضوعية[1]. العقيدة الليبرالية فقدت قدسيتها على أرض الواقع بعد أن عجزت عن استيعاب المناسفة التي تحولت الى احتكار وسيطر القوي على الضعيف، والصحافة كذلك فقدت حريتها عندما تمركزت صناعتها بيد قلة من أصحاب المال أو المؤسسات الصحفية الضخمة. عندما كانت الصحافة عامل مساعد للقوى العاملة في بريطانيا كما ذكرنا، استطاعت قوى السوق المتمثلة بتضخم سوق الصحف وزيادة كلفة الإنتاج(طباعة،توزيع..) والسعي خلف الربح، باندثار هذه الصحافة ونشوء أخرى لا تمثل الطبقة العاملة أو منبثقة منها. ومهما تنوعت وكثرت المحطات والإذاعات ووكالات الأنباء، فإنه في الولايات المتحدة على سبيل المثال فقط ٢٤ شركة كبرى، ربحية ومملوكة من قبل رجال أعمال أغنياء[2]، وهؤلاء بالطبع لهم مصالح مشتركة مع المؤسسات الكبرى والبنوك والحكومة وبالتالي المعلومات المنشورة سوف تراعي مصالحهم أو العكس في حال حصول الخلافات.

الفلتر الثاني المؤثّر في المعلومات المعروضة على وسائل الإعلام هو القطاع الإعلاني التجاري. لوسائل الإتصال الحديثة كما تمّ ذكره القدرة الهائلة على إيصال الرسائل التجارية أو الإعلانات إلى أكبر عدد من المستهلكين أو الزبائن، مما أدّى الى ارتفاع تكلفة عرضها بشكل كبير. الأثر المباشر للإعلانات كان اندثار صحافة القوى العاملة أيضًا، لأن الصحف التي لا تجذب الإعلانات (لأن قرائها من الطبقة التي لا يستهلكون بشكل كبير ما يعرض من إعلانات) ليس بإمكانها أن تنافس الصحف الكبرى التي تعتمد بشكل كبير على مدخول الإعلانات وبالتالي تكون أسعار صحفها أقل بكثير من الأولى.

---

[1] فريال مهنا، "**الإعلام والنظم السياسية**"، مرجع سابق، ص ٣٨-٦٢

[2] Edward S.Herman, Noam Chomsky, op.cit.,p.61-63

هكذا، تؤدي قوى السوق الحرة المذكورة أنفًاإلى وجود تأثير لأصحاب الإعلانات على نمو واستمرار وسائل الإعلام، ولم يعد هناك اختيار حر للقراء، لأن الأخبار تمت فلترتها بشكل مسبق[1]. أثر آخر للإعلانات هو نوعية المحتوى المعروض على الوسائل الإعلامية، أي برنامج لا يناسب أصحاب الإعلانات سوف يغضون النظر عنه وفي المدى الطويل عن المؤسسة التي تعرضه، وبالتالي أصبحت البرامج "خفيفة" ومسلية لا تعكّر مزاج "الزبائن المحتملين"، أما البرامج الثقافية والمتعلقة بالشأن العام فهي غير محبذة للإعلانات. أخيرًا ، الجدير بالذكر أنَّأصحاب الإعلانات يميلون نحو البرامج المحافظة(conservative) سياسيًا وحضاريًا.

الفلتر الثالث متعلق بالمعلومات التي يراد نشرها ومصادرها، لذلك على وسائل الإعلام أن تشكل علاقات وطيدة مع مصادر المعلومات تلك، من أبرزهم المؤسسات الرسمية وتلك التجارية الكبرى والمؤثرة، لعدة أسباب أبرزها الحاجة الدائمة والكبيرة للمعلومات يوميًا، وهذه المعلومات الموثوقة والموضوعية تحسن صورة المؤسسات الإعلامية.

أما الفلتر الرابع فهو الخوف من عرض المحتويات التي قد تؤدي إلى إحراج المؤسسة الإعلامية أو رفع دعاوى قضائية ضدها أو حملات إعلامية الخ.. هذه الإنتقادات وغيرها مكلفة ماديًا وتؤدي إلى هروب أصحاب الإعلانات.

الفلتر الأخير هوأيديولوجيةمعاداة الشيوعية لما لها من قوة لمحاربة كل من يتجرأ على مهاجمة مصالح أصحاب القوة والمال الرأسماليين، حيث يتذرعون بهذه الأفكار لإسكات الأصوات اليسارية والعمالية[2]. وبعد انهيار الإتحاد السوفياتي بقي هذا الفلتر ولكن تحوّل إلى أيديولوجيات متعددة تبرّر التدخلات الأميريكية في العالم أبرزها السوق الحرة الديمقراطية والحرب على الإرهاب[3].

---

[1] Joseph Turow, "**Media Industries: The production of News and Entertainment**", Longman, New York, 1984, p 52, in Ibid,p.٧٢

[2]Edward S.Herman, Noam Chomsky, op.cit., p.75-٨٧-٨٤-٧٧

[3] Florian Zollman,"**Corporate-Market Power and Ideological Domination: The Propaganda Model after 30 Years – Relevance and Further Application**." In: Pedro-Carañana, J., Broudy, D. and Klaehn, J. op.cit. Pp. 223-236.

بسبب هذه السيطرة على الوسائل الإعلامية وتنفيذها لسياسات أصحاب القوة والنفوذ، شهدت المجتمعات تغيرات كبيرة بعد انتشار الوسائل الإتصالية الجديدة، والسياق الحضاري العالمي تحول بشكل كبير بعد الحرب العالمية الثانية متأثرًا بهذه الوسائل، فإذا نظرنا الى الساحة الدولية من بعيد فهي تظهر كإنعكاس لنموذج الدعاية(Propaganda Model) الذي يتحدث عنه تشومسكي، ففي هذه الفترة انتشرت العولمة بشقيها الثقافي والإقتصادي وبالتالي كالفلتر الثاني قوة السوق هي المسيطرة إعلاميًا ودوليًا، كما أن أيديولوجيا معاداة الشيوعية كانت أيضًا مسيطرة على الساحة الدولية خلال الحرب الباردة ويقابلها أيضًا في الجهة المقابلة الإعلام الشمولي الشيوعي. هكذا تأثرت وأثرت الوسائل الإتصالية في العلاقات بين الدول والرأي العام العالمي وفي المجتمعات والرأي العام داخل كل دولة. وبعد أن كان التأثير للملوك والأباطرة أي **المرسل** في العملية الإتصالية في عصر الكتابة، تبعثر عندما أصبح **المرسل** هو عامة الشعب في عصر المطبعة، ثم ما لبث أن تمركز مرة أخرى في يد قلة تتمتع بنفوذ وقوة في المجتمعات الديمقراطية أو الأقلية الحاكمة في المجتمعات الشمولية في عصر الوسائل الإعلامية الجماهيرية.

انتهاء الحرب الباردة وانتشار الفكر والممارسة الديمقراطية والليبرالية وتحرير الأسواق عالميًا تزامن مع اختراع أجدد وسيلة إتصالية،فكيف سيكون تأثير اختراع الإنترنت وبعدها وسائل التواصل الإجتماعي؟ ومن سيكون المرسل والمرسل إليه في العملية الإتصالية؟

المبحث الثاني: الإنترنت ومنصّات/مواقع التّواصل الإجتماعي

تمّ البحث في الفرع السابق حول انتقال المعلومات بين البشر والقنوات الإتصالية التي كانت تتم عبرها، تطوّرت تلك الأخيرة من اللغة والكلام إلى التلفاز والراديو مرورًا بالكتابة والصحف. جميع هذه القنوات، وبعد الأخذ بعين الإعتبار للمرسل وطبيعته وحجمه وقوته والمرسل إليه وانتشاره وثقافته، كانت لها أثار اختلفت درجاتها حسب المتغيرات المذكورة أعلاه. ولكن ما حصل في تسعينيات القرن

العشرين سوف يؤدي الى ظهور قناة اتصالية جديدة ثورية، الاوهي الانترنت، الشبكة العنكبوتية التي تصل ملايين الكومبيوترات ببعضها البعض حول العالم. وما هي إلّا سنوات قليلة حتى بدأت المواقع الإلكترونية المعروفة بمواقع التواصل الإجتماعي بالظهور تباعًا، وتحول الإنترنت على إثرها الى قناة إتصالية تفاعليّة يتمّ تبادل المعلومات فيها بالاتجاهين، فالمرسل هو مستقبل في الوقت ذاته والعكس صحيح.

تتميز هذه القناة الإتصالية الجديدة بسرعتها الهائلة التي لم تعرفها أيّ من الوسائل الإتصالية السابقة، فمهما كان النقل مباشر على التلفاز فإنّه لم يكن ليعمل وحده دون أمر وينبهك بوجود أمر وحدث طارئ يجب مشاهدته، أمّا الميزة الثانية فهي الفعالية والإنتشار الواسع بين البشر في كل لحظة من حياتهم، فالهاتف الذكي لا يبتعد عن صاحبه إلا نادرًا.

على الرغم من أن الإنترنت هو جامع لكافة الوسائل الإتصالية القديمة، إلّا أنَّ هناك بعض الإختلافات، أولًا الخبر في الوسائل القديمة يصنعه كما تّم الذكر في الفصل السابق أصحاب النفوذ والسلطات ويخضع لفلاتر متعددة قبل البث، أمّا شبكة الإنترنت ساهمت في إيجاد الإعلام البديل... الذي سمح لعامة الشعب ليس الوصول الى الأخبار فحسب، بل صنعها أيضًا"[1]. ثانيًا وكما ذكرنا الصحافي في هذه الوسيلة هو/هي شخص عادي كان في السابق متلقٍ سلبي لا يؤثر بالمادة المعروضة إلّا قليلا. ويجادل الكاتبان سنجر وبروكينغ أن "الإنترنت لا يشبه أي من الوسائل الإتصالية السابقة، حيث رسالة الكترونية واحدة بإمكانها الدوران حول العالم بلحظات،... فكيف إذا هناك ملايين من تلك الرسائل في كل لحظة، فهذا لا يشبه أي من انتقال المعلومات في القرون السابقة. وبالتالي **الإنترنت هو أكثر تطور مؤثّر لوسائل الإتصال منذ إختراع الكتابة**"[2]. الميزات تلك تدفع الباحث للإستنتاج يقينًا أنّ الوسيلة الإتصالية الجديدة تلك هي طريق مختصر وباب سريع لديمقراطية الشعوب، ولكن هل في الممارسة بقيت على هدفها أم هناك ما أدّى إلى عدم تحقيقها تلك الغاية؟

---

[1] نديم منصوري، "**سوسيولوجيا الإنترنت**"، منتدى المعارف، بيروت، ٢٠١٤، ص ٥٧

[2] P.W Singer and Emerson T. Brooking, "**Like War The Weaponization of Social Media**", Mariner books, New York, 2018, p52

الفرع الأول:تطور الإنترنت ومنصّات التواصل الإجتماعي

المطلب الأول: إختراع الإنترنت

في العام ١٩٦٩ أنتجت الأبحاث الجامعية في الولايات المتحدة الأمريكية بتمويل من وزارة الدفاع شبكة الكترونية تربط الكومبيوترات ببعضها البعض "لتكون وسيلة آمنة للإتصالات عبر العالم لا يمكن تدميرها أو اعتراضها، حتى في وقت الحرب"[١]، وما هي الا سنوات قليلة حتى وصل عدد أجهزة الشبكة المترابطة إلى خمسة عشر، سميت الشبكة بال "ARPANET". نشأت في تلك الفترة العديد من الشبكات المشابهة حول العالم ولكن لم يتم الربط فيما بينها حتى اخترع فينت كيرف Vint–Curfبرتوكول إلكتروني للربط موحد بين الجميع وهو TCP/IP(transmission–control protocol/internet protocol) الذي يعتبر نواة الإنترنت. في العام ١٩٧٩ اي بعد عشر سنوات من بداية ربط الحواسيب تم إرسال أول رسالة الكترونية بين العلماء المطورين لهذه الشبكة حيث تبادلوا الرسائل حول أشياء مسلية خارج نطاق أبحاثهم، عندها استنتج كيرف أن الإنترنت سوف تكون مختلفة عن جميع وسائل الإتصال السابقة. في العام ١٩٨٠ تم فصل الانترنت بين شبكة وزارة الدفاع والشبكة المدنية ARPANET ليصار إلى استخدامها وتطويرها مدنيًا.

أما الإختراع الأخر الثوري فكان على يد تيم برنارز لي الذي اخترع لغة البرمجة وكتابة المواقع الإلكترونية HTML(hypertext markup language) بالإضافة الى URLو URI اللذين يحددان مكان المواقع تلك، كان ذلك في العام ١٩٩٠، وسمّى لي اختراعه ب World Wide Web، أو الشبكة العالمية الواسعة. مباشرةً بدأ الجميع حول العالم بتعلم اللغة المبرمجة وأصبح بإمكان من يتعلمها بإنشاء المواقع التي يريدها وحجز مكان لها على الشبكة الحديثة. في العام ١٩٩٠ كان عدد الكومبيوترات على الشبكة ثلاثة ملايين، زاد بعد خمس سنوات ليصبح ستة عشر مليونًا، وفي بداية الألفية أصبح ٣٦٠ مليونًا حول العالم. هذا الإزدياد الهائل للمستخدمين أدّى بطبيعة الحال إلى وجود كميات هائلة من المعلومات على الشبكة، فكانت الحاجة إلى محركات بحثية تختصر البحث والوقت المطلوب للوصول إلى الهدف، حصل هذا الشيء على يد باحثين

[١] عبد الحليم حمود، **"كواليس الدعاية الأميريكية"**، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٨، ص ١٨٧

متخرجين حديثًا من جامعة ستانفورد، لاري بايج وسيرجي برين، حيث اخترعوا المحرك الشهير غوغل. وهكذا توالت الإختراعات كإضافة آلات التصوير والميكروفون وغرف التحدث الأنية ومواقع التعارف والأسواق الألكترونية، حتى بدأ الحديث أن الإنترنت سوف يغير مجرى الحياة الإجتماعية والسياسية، كيف لا وهو جامع لكل وسائل الإتصال السابقة بالإضافة الى أمور جديدة كالتسوّق والتّعارف، ما دفع في العام ١٩٩٦ العالم الإجتماعي الشهير مانويل كاستيل للقول:" جمع الإنترنت للصحف والراديو وجميع الأجهزة السمع-بصرية في مكان واحد سوف يؤدّي إلى تأثير على المجتمع شبيه بتأثير اختراع الحرف(أو الكتابة)"[١].

المطلب الثاني: تطوير منصّات التواصل الإجتماعي

في العام ٢٠٠٤ قام الطالب الأميركي في جامعة هارفرد مارك زكربيرغ باختراع موقع الكتروني جديد سمّاه "فايسبوك" نسبة لكتب مصورة تحتوي على صور الطلاب الجدد في كل عام دراسي كانت تطبع لتساعد الطلاب على التعرف على بعضهم البعض. في حديث له في العام ٢٠٠٥ قال زكربرغ أن "الهدف "من هذا الإختراع" ليس خلق مجتمع الكتروني ولكن مرأة لما هو موجود قي الحياة الواقعية". الملفت أن موقع فايسبوك لم يكن الوحيد وأول موقع للتواصل الإجتماعي ولكن الإنتشار الكبير والواسع للإنترنت في تلك الفترة والإستخدام التجاري له، دفع الجميع لإستغلال هذا الوسط الإلكتروني الجديد عبر جني الأرباح من دوافع المستخدمين وحبّهم للمشاركة، هكذا وبسبب التوقيت المناسب فقط انتشر موقع فايسبوك بشكل جنوني ونشأت "وسائل التواصل الإجتماعي" أي "منصات مبرمجة حول فكرة توسيع شبكة المستخدمين التي من شأنها أن تخلق وتشارك المحتوى بطريقة لا نهائية". خلال عشر سنوات أصبح هناك ملياري مستخدم على الموقع، حيث أنَّ حجم الأحاديث على الموقع المسجّلة يوميًاعلى خوادمه تُقزم كتابات البشرية كلها منذ اختراع الكتابة[٢]. وبالتالي ما كان اختراع لطالب جامعي يهدف الى التعارف والترفيه والتسلية تحول خلال سنوات قليلة الى موقع ذات تأثيرات سياسية واجتماعية واقتصادية، "وعمل على إحداث تغيير جذري لمفهوم الإعلام، وعلاقته

[1] P.W Singer and Emerson T. Brooking, op. cit. p. 34-39-41

[2]P.W Singer and Emerson T. Brooking, op. cit., p.٤-٤٣-42

بجمهوره الذي أصبح يصنع الحدث، وينقله ويعلّق عليه بكل سهولة وحرية"[1]، كيف لا وكان الجميع وخاصة بعد وضع الكاميرا في الهاتف الجوال يصوّر الأحداث ويضعها مباشرةً على صفحته ويشاركها مع الجميع ليصنع بذلك الخبر، لذا الإختراع المهم أيضا في طريق سيطرة الوسيلة الإتصالية الجديدة هو الهاتف الجوال وخاصة الـ "iPhone" عام ٢٠٠٧ من قبل شركة Apple الأميركية.

في نفس السنة، كان موقع التواصل الإجتماعي الشهير تويتر يشق طريقه نحو السيطرة، عندها كان مستخدمونه يكتبون ٥٠٠٠ "تويت" أو تغريدة في اليوم، زادت هذه التغريدات لتصبح ٥٠ مليونًا في اليوم سنة ٢٠١٠ و ٥٠٠ مليون عام ٢٠١٥، عندها غيّر تويتر ليس من طبيعة الأخبار فحسب، ولكن أيضًا من طريقة صنع الخبر ونشره، وأصبح المراسلون يلجؤون إلى الموقع لتسجيل أحدث الأخبار، حيث المغردون هم من يحددون ما هي الأخبار التي تستحق النشر وما هي التي لا تستحق النشر. كما أن تويتر أعطى الفرصة لمن يريد صناعة أي خبر أن يتخطى الصحافيين، أبرز هؤلاء هم السياسين والمشاهير كما أن أبرزهم هو الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب الذي عرف كيف يوظف التكنولوجيا الإعلامية الجديدة لصالحه[2]. تمّ استخدام تويتر في العديد من الأحداث السياسية أبرزها الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة أواخر العام ٢٠٠٨،" حيث أنشأت القنصلية الإسرائيلية حسابًا لها على تويتر لنشر روايتها، فيما نشطت مجموعات من المدونين خاصة "الجزيرة توك" و"غزة توك" للردّ على الدعاية الإسرائيلية وإبراز وجهة نظر الضحية".[3]

الفرع الثاني: طريقة عمل منصّات التواصل الإجتماعي

---

[1] مصعب حسام الدين قتلوني، **"ثورات الفيسبوك مستقبل وسائل التواصل الإجتماعي في التغيير"**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٤، ص ١٠٤

[2] P.W Singer and Emerson T. Brooking,op. cit. ,p.٤٩

[3] مصعب حسام الدين قتلوني، مرجع سابق،ص ١٠٥

هكذا تمّ اختراع وسيلة اتصالية جديدة تتميّز بجمعها لكل الوسائل الإتصالية القديمة ولكن بسرعة وفعالية أكثر من أي واحدة منها، **المرسل والمرسلاليه** في هذه القناة الإرسالية اندمجوا في نفس الكيان، فبعد أن كان **المرسل** سابقًا مركزي متمثل بسلطات الدول أو الشركات الكبرى الرأسمالية أصبح شخصاً عادياً جالساً خلف شاشة الحاسوب أو الهاتف الجوال في منزله، وهو في نفس الوقت متلقٍ أو **مرسل إليه** يستهلك ما كتبه شخص آخر من معلومات وأخبار في عملية إتصالية لم تشهدها البشرية قط. فكيف تعمل هذه المنصات وما هو الدافع الذي يجعلها تستمر وتتوسع بهذا الشكل؟

المطلب الأول: أهداف المنصّات الرسمية وغير الرسمية

في جولة سريعة على موقع فايسبوك، من السهل معرفة وجهة نظر الموقع وهدفه، فمهمته كما هو مذكور "إعطاء القوة للأشخاص لتمكينهم من بناء مجتمع وتقريب العالم من بعضه البعض"، " Give people the power to build community and bring the world closer together". وبالإضافة إلى مشاركة الأفكار والأحداث أصبح هذا الموقع مركز تجاري حيث هناك أكثر من ٢٠٠ مليون مؤسسة "تستخدم الموقع للإتصال بزبائنها وتنمو". إذًا هدف الموقع الأساسي جمع الناس وتقريب من فرّقتهم المسافات، ولتحقيق ذلك تلتزم الشركة بتوظيف عمال من كافة الأعراق والأجناس، كما تتعهد بإعطاء الصوت لمن لا يملكه، وخدمة الجميع دون استثناء مع الحفاظ على خصوصيتهم وأمنهم.[١] موقع تويتر ليس ببعيد عن هذا، فهم يعرّفون تويتر بـ " أنّه ماذا يحصل وماذا يتحدث الأشخاص في هذه اللحظة"، وهم "يخدمون الحديث العام ولذلك يهمهم أن يكون هناك مكان آمن وحُر للأشخاص للتّحدث"، و يؤمنون أنَّ التغيير الحقيقي يحصل من خلال الأحاديث بحيث صوت الناس له قيمة في المنصة .[٢]

[١] موقع فايسبوك، "عن فايسبوك" معلومات عن الشركة، تاريخ الدخول ٢٠٢١/٨/٩ https://about.facebook.com/company-info/

[٢] موقع تويتر، "عن تويتر"، تاريخ الدخول ٢٠٢١/٨/٩ https://about.twitter.com/en

هذه هي أهداف المنصّات العلنيّة والمذكورة على مواقعهم الإلكترونية. على عكس سابقاتها منصّات التواصل الإجتماعي تفاعليّة، وبالرغم من عدم وجود نية سيئة لدى المطورين أو عن قصد لتوظيفها بشكل سلبي، انتجت التفاعلية تلك وتصفح المستخدمين لصفحاتها أثارًا لم تكن متوقعة، لفهمها لا بدّ من معرفة كيف تعمل هذه المنصّات.التكنولوجيا المشغلة لها والمسماة خوارزميات "Algorithms" هي سرية بالكامل ولا يتنازل مالكي المنصّات عنها كي لا يتم تزويرها وبالتالي هناك احتكار لها، ولا يعرفها ويعلم كيف تعمل المنصّات سوى أشخاص قليلين جداً[٢١]، رغم ذلك تمّ الإعلان عن طريقة العمل بشكل عام من خلال موظفين سابقين في المنصّات تركوا عملهم بسبب "فقدان الرادع الأخلاقي في تطوير المنصّات" كما يقولون. نحن نقول أن المنصّات هي بين يدي الجميع في كل لحظة وإذا تمّ النظر إليها من زاوية مختلفة ستتضح الصورة ويتمّ فهم طريقة التشغيل.

حسب تقرير نشره موقع غلوبل فايننس حول أكبر عشر شركات في العالم بالنسبة للقيمة السوقية أي قيمة أسهم الشركة في الأسواق المالية، صنفت شركة فايسبوك السادسة عالميًا،[٣] كما بلغت نسبة أرباحها ٢٩.١ مليار دولار[٤]. هذه الشركات تقوم ما بوسعها لزيادة قيمتها السوقية عبر تحقيق نسب أرباح أكبر وغيرها من الأمور التي تبث أجواء إيجابية لدى أصحاب الأسهم ما يدفعهم لزيادة سعر السهم. الفكرة التي نريد إيصالها هي أن شركة مصنفة سادسة عالميًا هدفها الغير معلن أعلاه هو تحقيق الأرباح، والدليل على ذلك هو أن معظم منصّات التواصل الإجتماعي أدخلت الإعلانات التجارية في صفحاتها، فمن يشاهد مقطع فيديو سوف يتم مقاطعته لعرض مقطع آخر لإعلان

---

[1]"**The Social Dilemma**", Jeff Orlowski, Tristan Harris, Netflix, Exposure Labs- Argent Pictures-The Space Program, 2020, California, تاريخ الدخول ٢٠٢١/٨/٩https://www.netflix.com/lb-en/title/81254224,

[2] Christian Fuchs,"**Propaganda 2.0: Herman and Chomsky's Propaganda Model in the Age of the Internet, Big Data and Social Media**" In: Pedro-Carañana, J., Broudy, D. and Klaehn, J. (eds.). op.cit. p.73

[٣] موقع غلوبال فايننس، تاريخ الدخول ٢٠٢١/٨/٩
https://www.gfmag.com/global-data/economic-data/largest-companies/

[٤] موقع مجلة فوربس، تاريخ الدخول٢٠٢١/٨/٩
https://www.forbes.com/lists/global2000/#42761a085ac0

معين، ومتصفح المنصة سوف يلاحظ أن الإعلانات تظهر بين أخبار وصور الأصدقاء دون سابق إنذار، حيث يقدر أن ٩٠٪ من أرباح شركة غوغل تأتي من بيع الإعلانات الرقمية[1].

حتى الآن لا يوجد أي مشكلة في ذلك، فالقارئ يجادل أن الوسائل الإتصالية السابقة من تلفاز وإذاعة كانت تبث الإعلانات وأيضًا بشكل يقطع حلقة المسلسل مثلاً وكذلك الأمر دون سابق إنذار، لا بل في السابق وكما تمّ شرحه هناك نموذج لدعاية يتم فلترة ما يتم نشره عليها أما الإنترنت فهو لا مركزي ومنصات التواصل هي صوت من لا صوت له. المشكلة تكمن في التطور الذي أصاب الوسائل المشغلة للوسائل الإتصالية تلك ونقصد آلة التلفاز مثلاً وحاليًا الهاتف الذكي. هذا الهاتف متصل بالشبكة العنكبوتية طوال الوقت (إلا إذا تم إيقاف ذلك من قبل صاحبه) ولكن من الصعب أن يحدث ذلك لأن الإدمان على إستعماله أقوى من إرادة المستخدم من الإنفصال عن الشبكة.

المشكلة الثانية هي أن المطورين في هذه الشركات باستطاعتهم كتابة برامج مشغلة تؤثر على شريحة كبيرة من المستخدمين قد يصل عددهم إلى ملياري شخص، وهذه البرامج كما ذكرنا سرية وبالتالي ما يراه شخص ما في إندونيسيا على شاشة هاتفه تمّ برمجته من قبل عدد قليل جداً من المهندسين في الولايات المتحدة الأميريكية (معظم منصات مواقع التواصل هي أميريكية المنشأ). بالطبع إذا أخذنا منصة فايسبوك على سبيل المثال فإن مارك زكربرغ مخترع المنصة ورئيسها حاليًا يتمتع بنسبة ٦٠.١٪ من قوة التصويت[2] وبالتالي هو سيتخذ قرارات ستكون مؤثرة بمليارات المستخدمين.

لذا هؤلاء المطوّرين وكاتبيّ البرامج وأصحاب المنصّات يبرمجون مواقع تواصل اجتماعيّ وهي وسائل إتصال هذا العصر بطريقة تضمن زيادة الأرباح بشكل كبير ومستمر، يتمّ ذلك عبر جعل المستخدمين مدمنين على المنصّات ويمضون أوقات طويلة عليها. يقول تريستان هاريس وهو مصمم سابق في غوغل أن هدف المطوّرين عندما كان يعمل في الشركة هو جعل التطبيقات أكثر إدمانًا. مصدر هذه الأرباح هو بيع الإعلانات المستهدفة التي تستهدف المستخدمين، فالخدمات المجانية

---

[1] Florian Zollman, op. cit.

[2] Christian Fuchs, op. cit., p.٧٣

التي تقدمها هذه المنصات هي بالفعل غير مجانية ولكن يتم دفع قيمتها من قبل الشركات الإعلانية التي تشتري انتباه المستخدمين الذي بدورها تحرص شركات المنصّات على جعله لأطول وقت ممكن، عبر الإدمان. يقال أنه إذا كنت لا تدفع ثمن السلعة، وهنا خدمات المنصة، عندها تكون أنت السلعة. روجير ماكنامي، أحد المستثمرين الأول في فايسبوك يقول أن شركات وادي السيلكون (أي شركات التكنولوجيا) باعت خلال أول خمسون سنة من نشأتها السلع والخدمات (Hardware and software) أما اليوم ومنذ عشرة سنوات تبيع هذه الشركات مستخدميها[١]. فما هي الإعلانات المستهدفة والتي هي باب الربح الوحيد لهذه المنصات؟

المطلب الثاني: طريقة العمل

عند تصفح المستخدمين لمنصات التواصل الإجتماعي، يتم جمع عدد كبير من المعلومات حول طريقة التصفح ومحتواه وغيرها الكثير الكثير من الأمور، على سبيل المثال الوقت الذي تمضيه المستخدمة لرؤية ملصق حول عربات الأطفال. يتم تخزين هذه المعلومة وملايين المعلومات حول كل مستخدم في مراكز المعلومات(الداتا) ليتمّ تشكيل ما يسمى بالداتا العملاقة (MetaData) بطريقة لم تحصل في تاريخ البشرية من قبل[٢]. يضاف إلى معلومات التصفح تلك معلومات تتأتّى من الأجهزة المشغلة كالهواتف الذكية وهي الحساسات(sensors)، منها الظاهر كالكاميرات ومنها المخفي كمحددات الموقع GPS، وهكذا" تصبح كل تغريدة على تويتر مثلاً، تحمل معها أكثر من ٦٥ عنصر من الداتا "[٣]، هذه الداتا العملاقة وعدد الحساسات الهائل هي فكرة لطالما أرعبت البشر وظهرت في العديد من مؤلفاتهم أبرزها قصة جورج أورويل ١٩٨٤ الذي تخيل فيها العالم مليء بالشاشات التي يشاهدها السكان وهي تراقب وتسجل حركاتهم في نفس الوقت.

هذه المعلومات هي غذاء البرامج المشغلة للمنصات(الخوارزميات-Algorithms)، عبر دراستها وتحليلها تقوم بتوقعات دقيقة جداً، فعندما أخذت المستخدمة وقت طويل عند ملصق عربات الأطفال

---

[1]"**The Social Dilemma**" ,op.cit.

[2] Florian Zollman, op. cit.

[3] P.W Singer and Emerson T. Brooking,op. cit. ,p.57

وهناك معلومة اخرى مسجلة عنها هي مثلاً بحث لدى غوغل عن طعام خاص للأطفال، عندها ستتوقع المنصة أن هذه المستخدمة لديها طفل حديث الولادة، وبالتالي سوف تضع بين كل ملصق وأخر إعلان خاصّ بالأطفال تم بيعه مسبقاً لصاحب الإعلان. هكذا تكون الإعلانات "مستهدفة"، الإعلان المناسب للشخص المناسب. وبالإضافة لإستهداف الأشخاص بالإعلانات فإن منصات التواصل توفر شريحة كبيرة من المستخدمين "السلع" كونها منتشرة بشكل كبير بين البشر، حيث تشير الأرقام أن الشركات الإعلانية تفضل الإعلانات المستهدِفة بدل الإعلانات الإذاعية والصحفية نظرًا لفعاليتها الكبيرة، حيث أن الإعلانات الرقمية هي ثاني أهم نوع من الإعلانات بعد تلك المعروضة على التلفاز، لكن الملفت أن الأخيرة لم تتطوّر وبقيت على ما هي عليه خلال العشر سنوات الماضية، أما الإعلانات الرقمية فقد تضاعف حجمها من ٤٢ مليار جنيه استرليني إلى ٨٠ مليار بمعدل نمو سنوي يعادل ١٦.٥٪ مقابل ٥.٣٪ لإعلانات التلفاز[١].

تقول البروفسير في جامعة هارفرد كلية ادارة الأعمال شوشان زوبف أنه لم تحلم أي شركة من قبل بهذه الطريقة لبيع الإعلانات المؤكدة، فهذه المنصات تبيع المؤكد عبر التوقع الأكيد من خلال قراءة واستخدام داتا كبيرة جدًا، إنه سوق جديد لم تشهده البشرية من قبل، يتم فيه تبادل مستقبل المستخدمين تماماً كما يتم بيع وشراء مستقبل النفط في الأسواق المالية، وهذا السوق جعل شركات منصات التواصل الإجتماعي من الأغنى عالميًا وتاريخيًا.

إذاً أهداف المنصات المعلنة بشكل عام من تقريب الناس من بعضهم البعض وإيصال أصواتهم ومساعدتهم ينمو مؤسساتهم، يقابله ثلاث أهداف غير معلنة وهي:

١- البقاء أطول وقت ممكن عبر توقع ما يحب المستخدم أن يشاهد وعرضه بشكل آني له والإدمان المقصود.

٢- التوسّع عبر تشجيع المستخدمين على نشر وحثّ أصدقائهم على استخدام المنصة.

٣- بيع الإعلانات لضمان الأرباح والمضمونة بشكل مستهدف في حال تحقق أول هدفين.[٢]

---

[1] Christian Fuchs, op. cit. p.٧٤

[2] "**The Social Dilemma**" **,op**.cit.

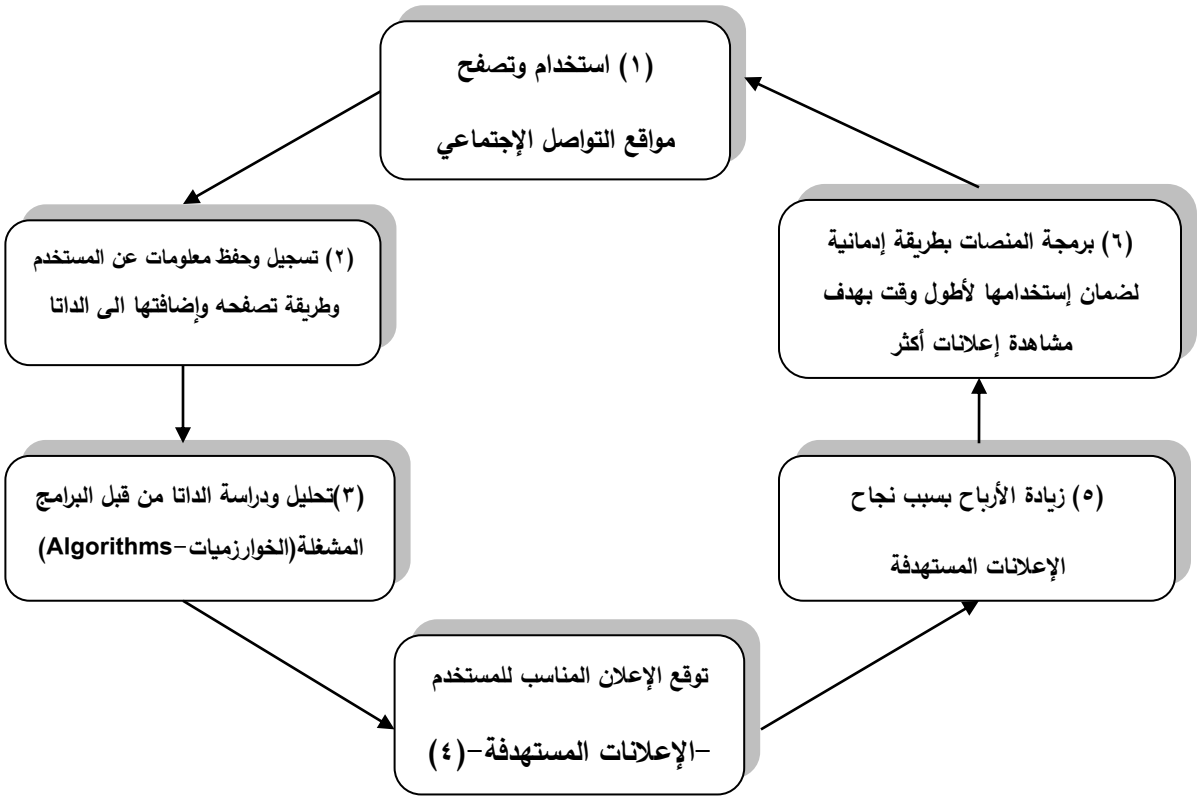

صورة رقم١: طريقة عمل منصّات التواصل الإجتماعي بشكل متتابع ومترابط

بعد فهم طريقة عمل منصات التواصل الإجتماعيالموضحة في الصورة أعلاه بشكل تسلسلي من رقم (١) الى (٦)، سيتم التطرّق أولاً للأثر السلبي أو تأثيرات استخدام المنصّات على الصعيد الشخصي وبعدها سوف يتم بحث الأثرعلى الصعيد الإجتماعي.

الفرع الثالث: التأثيرات على الصعيد الشخصي

المطلب الأول: الإدمان من الماضي الى الحاضر

عند ظهور الوسائل الإتصالية القديمة كالصحف وبعدها التلفاز والإذاعة، ظهرت حالة الإدمان عليها من قبل البشر، فصورة الناس على جوانب الطرقات في صبيحة كل يوم وهم يقرؤون الصحف

شبيهة جدًا بجيل اليوم أثناء حملهم للهواتف الذكية. في الحقيقة نعم، لقد حرص كتّاب الصحف وبعدهم المنتجين في المحطات التلفزيونية على ضمان زبائنهم من قراء ومشاهدين من خلال الإدمان. الدليل على ذلك كمية الكتب الخياليّة والسيّر الذاتيّة في المكتبات، فهي تشكل ثلثي عدد الكتب الموجودة، كما أن الأمكنة الخصصة للقصص ذات "الإهتمامات البشرية" التي تختص فقط بسرد التجارب الشخصية الخاصة في الصحف تشكل ٧٨٪ من الصحيفة ما يترك فقط ٢٢٪ للأخبار والتعليقات السياسة والإقتصادية والأخبار الرياضية وغيرها. هذا إن دلّ على شيء فهو أن البشر وبسبب تركيبة عقلهم البيولوجية والسيكولوجية، يريدون معرفة تفاصيل الحياة الشخصية للأشخاص المشاهير بشكل عام و الأفراد القريبين منهم كالعائلة والأصدقاء بشكل خاص[١].

إذاً حرصت الصحف والمحطات التلفزيونية والإذاعات على استغلال الحالة البشرية تلك لضمان عودة القراء والمشاهدين والمستمعين المتعطشين لتلك الأخبار الإجتماعية كل يوم وكل ساعة. فكيف الحال في كل لحظة لوسائل إتصالية مسماة بمنصّات التواصل الإجتماعي والتي تعتمد بشكل أساسي على تبادل تلك الأخبار الإجتماعية مضاف إليها صور وفيديوهات كانت في السابق حكرًا على "البومات" الصور الخاصة في كل بيت. ولكن هناك فرق في هذا الخصوص بين الوسائل القديمة والجديدة، نسردها ثم نتحدث كيف أثرت سلبًا على الجيل الجديد بأكمله.

يقول تريستان هاريس أن منصّات التواصل الإجتماعي، على عكس التلفاز والإذاعة، ليست بوسيلة إتصالية كما هو متعارف عليها، ولكن هي شركات لها أهداف أساسية تسعى إلى تحقيقها عبر استعمال السيكولوجيا الخاصة بنا ضدنا. والفرق أيضًا أن خلف شاشات الحواسيب والهواتف الذكية هناك مهندسين وكاتبي برامج وخوارزميات درس معظهم كيفية اللعب على حبل العواطف والسيكولوجيا البشرية وكيف يجعلون التكنولوجيا محفزة للإستعمال أكثر[٢]، كما أن الحواسيب والخوادم العملاقة المشغلة للمنصات هي ذات ذكاء إصطناعي هائل وتطور نفسها بنفسها من خلال التحليل ومعرفة أماكن الضعف ومعالجتها وبالتالي التواصل بين البشر محكوم حالياً بآلة.

---

[1]Robin Dunbar, op. cit. p.٦-٥

[2] "**The Social Dilemma**", op. cit

في هذا السياق "يعتقد بودريار أنه إذا كان الواقع قد استسلم أمام التلفزة، فإن الوجه لوجه أمام الحاسوب،.... قد خلق عالمًا موازيًا حيث يدخل هذا الإنسان ويخرج دون أن يلاحظ إنقطاعًا، إنه إذًا كان الفضاء الواقعي لمكان كان قد قطعه بالأمس فضاء شاشة التلفزة التي كانت تمتص كل الإنتباه السلبي للمشاهد، فإن الفضاء السبراني الذي تتواجه من خلال مونيتورات(شاشات) الحاسوب، ينتظر المشترك...(الذي) يترك جسمه أمام شاشة الحاسوب ويشرع في اختراق الشبكة بهوية جديدة تمامًا مرسومة حسب متطلبات الحياة على الهواء(online)". وبالتالي الفرق بين الوسائل القديمة والجديدة هي أن الإنسان انقسم أمام الوسيلة الجديدة إلى هويتين الأولى حقيقة والثانية مجازية خلبية، وهي(الوسائل الجديدة)"" لم تنتج تمثلاً رقميًا للعالم فحسب، بل عالمًا موازيًا أيضًا""[1].

هذه التفرقة بين عالمين متوازيين الذي خلقها عالم الحواسيب والإنترنت أثارت قلق العلماء لما لها من تأثير سلبي على حياة المستخدمين الشخصيّة، حيث ""يعبر فيراروتي عن قلقه من نهاية الفرد العقلاني والواعي نسبيًا، لأن الخلط... بين الواقع الخلبي(virtual reality) والواقع الواقعي، يفضي إلى ذوبان الوعي وعدم قدرته على التمييز بين "الداخل" و "الخارج" بين "الأعلى" و "الأسفل"، بين الوجود الفعلي والوجود غير الموجود... وهذه الصيرورة تؤدّي إلى تفتيت الشخصية الإنسانية تحت ذريعة إغنائها، وهو إغناء لن يلبث أن يسفر عن كونه اصطناعيًا ووهميًا، لأن تقنيّات الإتصال الجديدة ...لن تمرّ بشكل مجاني وبدون ألم سوى بالنسبة لصناع حواملها التقنية.""[2] كان هذا التحليل في العام ١٩٩٥ قبل اختراع منصّات التواصل الإجتماعي التي كما سنرى حققت هذه النظرية وبشكل أوسع.

المطلب الثاني: القلق، الإحباط، الإكتئاب

إذا استطاعت الوسائل الإتصالية القديمة السيطرة قليلاً على مشاعر ونقاط ضعف البشر الإجتماعية، فإن منصّات التواصل الإجتماعي تلاعبت بها بشكل غير مسبوق. قامت تلك الأخيرة وأهمها غوغل وفايسبوك بالقيام بتجارب صغيرة ولكن كثيرة على مستخدميها بهدف معرفة الطرق

[1] فريال مهنا، "**علوم الإتصال والمجتمعات الرقمية**"، مرجع سابق، ص ٤٨٩

[2] المرجع نفسه ،ص ٤٩٠

الأنجع لزيادة النشاط عليها بطريقة جعلت المستخدمين كفئران تجارب، توصلوا إلى نتيجة هي كما صرح النائب السابق لرئيس قسم التّوسع في فايسبوك، "التلاعب بنا سيكولوجيًا لإعطائنا جرعة من هرمون السعادة الدوبامين". تقول الدكتورة في الطب الإدماني في جامعة ستانفورد أنا ليمبكي أن:"المنصّات هي مخدرات، فالبشر لديهم حافز بيولوجي للإتصال بباقي الأشخاص، وعند تحقيق هذا الإتصال يفرز الدماغ الدوبامين،... وبا أن منصات التواصل الإجتماعي هدفها الأساسي العلني ربط الأشخاص لذا فهي ادمانية بشكل كبير" ، وتضيف أنها قلقة على الوقت الذي يمضيه أطفالها على الهواتف الذكية.[٢١]

تكمن المشكلة في أنه عندما كتب المهندسون هذه البرامج والمنصات بهذا الشكل الإدماني، لم يأخذو بالحسبان الأطفال الذين سيستعملون هذه المنصات ولا بنفسيتهم أو تربيتهم بالطرق السليمة. أولاً، وفي حال غياب الرقابة الأهلية، سيمضي الأطفال أوقات طويلة جدًا على صفحات هذه المنصّات طبعاً بسبب طريقتها الإدمانية، ما سيدفعهمإلى التخلي عن حياتهم الواقعية والتعلق بالحياة الإفتراضية وعدم قدرتهم على الإتصال مع الآخرين في الواقع الحقيقي، إضافة إلى تراجعمستواهم العلمي بالدراسة.

ثانياً، وأثناء تصفّح الأولاد للمنصّات، سيتعرضون بشكل مستمر للإعلانات المستهدفة، ربما يجادل أحدهم أن الطفل سوف يتمّ استهدافه بإعلانات خاصة بالأطفال، الجواب هو أنه في غالبية الأوقات يستخدم الأطفال هواتف ذويهم وبالتالي سيتعرضون لإعلانات خاصة بوالديهم، وحتى في حالة هواتفهم الخاصة فإن الفضول عند الأطفال يدفعم للبحث على غوغل مثلاً عن سلاح معين، هذه المعلومة الوحيدة تعرضه لكم هائل من الإعلانات عن الأسلحة والحروب وصولاً الى الحملات الإنتخابية والتطرف.

ثالثاً، البشر بشكل عام والأطفال بشكل خاص غير مستعدين سيكولوجياً لمشاهدة عدد كبير من الأصدقاء والعائلة القريبين والبعيدين وماذا يفعلون في كل يوم، والعكس صحيح أيضًا. فمشاهدة الناس لك على صفحاتك الإلكترونية تضع ضغط هائل عليك للظهور بأبهى الحلل ولو لم يكن هذا

---

[1]P.W Singer and Emerson T. Brooking,op. cit. ,p.٣

[2] "**The Social Dilemma**", op. cit.

الواقع، وهذا ما يفسر استعمال الفتيات للفلاتر التي تحسّن من شكل الوجه مثلاً. هذا الأمر بالذات يفقد ثقة الأشخاص بنفسهم مما قد يؤدّي الى أذية نفسهم أو حتى الإنتحار.

يقول الدكتور في طب النفس الإجتماعي في جامعة نيويورك جوناثن هايد أن هناك زيادة هائلة في حالات الإكتئاب والقلق عند المراهقين في الولايات المتحدة الأميريكية، وهذه الزيادة بدأت بين عامي ٢٠١١ و ٢٠١٣ الذي يصادف انتشار منصّات التواصل الإجتماعي بشكل كبير. ويضيف أن الجيل ز (Generation Z)أيّ الذين ولدوا بعد العام ٢٠٠٦ هم أول جيل استعمل المنصّات على عمر مبكر جدًا، وهم حسب ما تشير الدراسات أكثر جيل قلق، هش، ومكتئب.

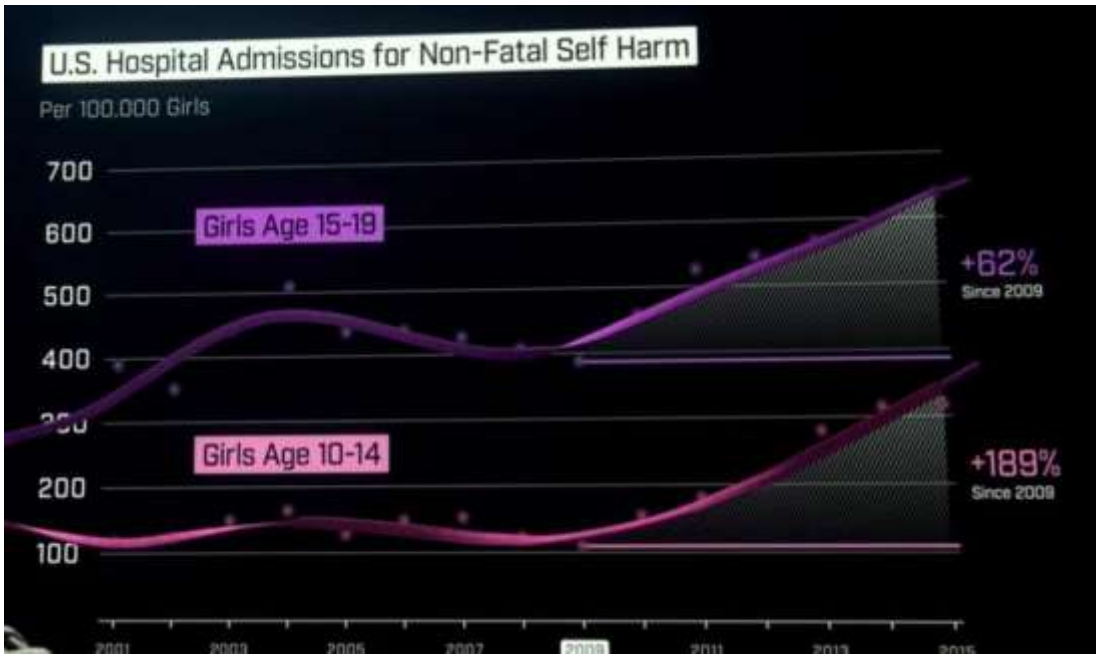

صورة رقم ٢: التسجيل في المستشفيات لحالات أذية نفس غير قاتلة حالات الإنتحار في الولايات المتحدة الأميريكية

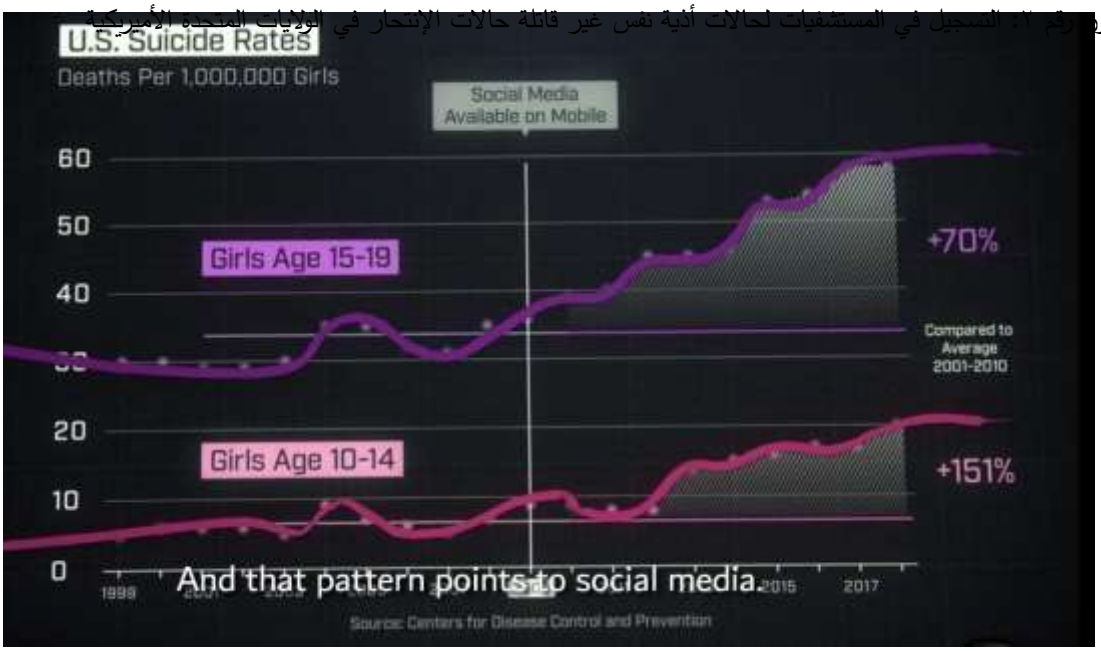

صورة رقم ٣: حالات الإنتحار في الولايات المتحدة الأميريكية

تشير الصورة رقم ٢ أن عدد التسجيل في المستشفيات الأميريكية لحالات أذيّة نفس غير قاتلة للفتيات من عمر ١٠ حتى ١٩ سنة إزدادت من العام ٢٠٠٩ حتى اليوم بنسبة ١٨٩٪ لفئة الأعمار ١٠-١٤ و٦٢٪ لفئة ١٤-١٩.

الصورة رقم ٣ توضّح نسبة زيادة حالات الإنتحار، حيث سجلت زيادة ١٥١٪ للفئة العمرية ١٠-١٤ و ٧٠٪ للفئة ١٤-١٩ للفتيات في الولايات المتحدة الأميريكية من العام ٢٠٠٩ حتى اليوم. سنة ٢٠٠٩ هي تاريخ توفر منصّات التواصل الإجتماعي على الهواتف الذكية ما يشير إلى علاقة بين المتغيّران.[١]

إذاً إنَّ أجدد وسيلة إتصالية تمّاختراعها من إنترنت وبعدها منصّات التواصل الإجتماعي أثرّت بشكل سلبي على الصعيد الشخصي للمستخدمين خاصة الأطفال والجيل الجديد الذي ولد بعد العام ٢٠٠٦، إلا أن التأثيرات السلبية لا تقتصر عند الحد الشخصي بل تنتقل إلى المجتمع والسياسة وتصيب الكبار في العمر أيضًا.

الفرعالرابع: التأثيرات على الصعيد المجتمعي

عند اختراع الحاسوب، وربطهمبعد ذلك ضمن شبكة واحدة هي الإنترنت، ومن ثمّ ظهور المنصّات الإجتماعية، لم يتخيل علماء تلك الفترة أنَّه سيكون لذلك أيّ أثر إجتماعيّ أو سياسيّ واعتبروا ذلك ضربًا من ضروب الخيال. بعد ذلكوبسبب طبيعة التواصل عبر الإنترنت الذي يتسم بالتفاعلية وانتشار الإشاعات والأخبار والتصوير ومواقع التواعد الغرامي مثلاً وغيرها الكثير من الميّزات التي يُسَهِّل تبادلها الإنترنت،تحدّث العلماء والباحثين أنّ هذه الثورة سوف تؤدّيإلى تغيّرات إجتماعية جيدة وتقوم بما عجزت الوسائل الإتصالية السابقة عن القيام به. ففي عصر الإذاعة

[1]Centers for Disease Control and Prevention, in "**The Social Dilemma**", op. cit.

والتلفزة كان نقل الأخبار يتم بنسبة كبيرة في اتجاه واحد من أعلى الى أسفل، أمّا اليوم فالأخبار تصنع من القاعدة "وما يراه المستخدمون على تويتر مثلاً جديراً بالإنتشار هو الذي يصبح الخبر ال"ترند" وما لا ينال الانتباه يموت".[١]

طبيعة التواصل المعلوماتية تلك تؤدي بالمجتمعات، كما يقول الباحث الحاسوبي(computer researcher) جاي بولتر، إلى الإنتقال من نظام تراتبي إلى نظام ثقافة شبكية، والفرد في هذه المجتمعات بدأ يكتسب حرية عمل متعاظمة. تفكّك أشكال التراتبية تلك تسير باتجاه الديمقراطية الليبرالية. ويضيف أن انتهاء التراتبية لا يعني البتة انتهاء التنظيم الإجتماعي، فالفرد لا يكف عن تشكيل مجموعات، بل على العكس، فإن الأفراد يستطيعون اليوم تأليف مجموعات أكثر من أي حقبة مضت، لأنهم أحرار في أن يقيموا تنظيمات وفي أن يحلّوا أخرى كما يشاءون. وهو يرى أن هذه الجماعات يمكن أن تتعايش داخلها جميع محددات التشكيل الثقافي، دون أن يوضع أي محدد منا شروط تخوّل ثقافة ما الهيمنة على أخرى. هكذا أخذ المجتمع بأكمله يكتسب الهوية المتغيرة للنّص الممنهل(hypertext)، أي الكتابة الإلكترونية وتشعّبها، بعد أن سقط الإيمان في مشروعية التراتبية.[٢]

هذا الحماس لدى العلماء بتغيرات إجتماعية إيجابية بسبب الإنترنت لم يلبث أن تحول خلال سنوات قليلة إلى نظرة تشاؤميّة بسبب ما ظهر للجميع من أثر سلبي لأجدد وسيلة إتصالية. حيث يرى أحدهم أننا ""نعيش في مجتمع متغيّر تحدث فيه التغيرات بصورة سريعة يصعب التحكم فيها أو تعديلها""[٣]. فالجماعات الجديدة التي تحدّث عنها بولتر وتغنّى بعدم سيطرة ثقافة على أخرى، بدأت تنقسم على نفسها، ففي دراسة مسحية لعشرة آلاف أميريكي قام بها مركز "Pew" للأبحاث[٤]، وجد

---

[1] P.W Singer and Emerson T. Brooking,op. cit. ,ص ٤٩-٤١

[2] Jay D. Bolter, "**Writing Space the Computer, Hypertext, and the History of Writing**", Lawrence Erlbaum Associates, New Jersey,1991, p. 298-306

[٣] نديم منصوري، مرجع سابق ص ٣٣

[4] Pew Research Center in, "**The Social Dilemma**", op.cit

أن المجتمع الأميريكي منقسم أكثر من أي وقت مضى، فما السبب في ذلك؟ وكيف تحوّلت الوسيلة الإتصالية المعلوماتية من وسيلة جامعة إلى منصّات تقسيمية؟

المطلب الأول: أمراض المجتمعات

١)في المبحث الأول تمّ ذكر أثر اللغة والكلام على المجتعات، وتم الإستنتاج أنّ اللغة أدّت إلى عيش البشر في تجمعات لا يتعدى عددها المئة وخمسون شخصًا، أي زيادة على هذه الأعداد تتطلب تنظيم قانوني ومؤسسات وغيرها من الأشكال التنظيمية. في معرض هذا الحديث نعطي مثلاً أنّه في مجالس النواب مثلاً، ورغم وجود قوانين داخلية أحيانًا ورئيس للمجلس، يصل الحال في بعض الأحيان ببعض النوابإلى عدم طلب الكلام ويتحدثون دون إذن ويأخذون دور زملائهم، ما يحدث فوضى عامرة تصل في بعض الأحيان إلى تضارب ولا يحصل إتفاق على القوانين المطروحة. يخلص الكاتب روبين دنبار الى أن كلّ حديث بين عدد من الأشخاص يتوجّب أن يكون هناك شخص واحد يتكلم (هذه المجموعة من الأشخاص عددها المثالي أربعة أشخاص)، أية زيادة على هذا العدد يجب أن يقونن الإجتماع لتنظيم الكلام وذلك ليكون الحديث فعّال ومنتج، عدم تحقيق هذا الشيء يعرّض الإجتماع للإنهيار وعدم التوصل إلى إتفاق حول وجهات النظر المختلفة[1]، وأحياناً، كالمثل أعلاه، في ظل وجود القوانين تحدث الفوضى ولا يتم الإتفاق.

٢)فضلاً عن الفوضى فإنّ موضوع الأحاديث لا يقلّ أهمية. قبل وقت سحيق من اختراع الإنترنت ومنصّات التواصل، جادل أفلاطون في مقولات حول تربية الأطفال والمراهقين الذين يتم إعدادهم ليصبحوا قادة جمهوريته المثالية، إنّ الثقافة الجماهيرية، في ذلك الوقت، تتسبب في إيذاء عقول الشباب. ويقول :"هل يمكن السماح لأي كان في أن يقص على الشباب حكاية خيالية يصغون اليها ويستقبلون في نفوسهم آراء معارضة لتلك التي يجب–حسب رأينا–أن يؤمنوا بها عندما يصبحون كباراً. يفترض ألا نسمح بذلك أبداً، لهذا من المفترض أن نراقب...مؤلفي الحكايات

[1] Robin Dunbar, op. cit., p. ١٩٨–١٩٥

لنرى فيما إذا كانوا يؤلفون حكايات جيدة لكي نتبناها، أو رديئة لنفرضها...هذه الحكايات..تشكّل عقولهم.. . إنّ ما يقص الآن على الأطفال من حكايات يجب رفض العديد منها.""[١]

٣)في رده على العالم يورغان هبرماس الذي قال أن من شروط الأحاديث المثالية هو الحق "للجميع التسائل حول أي موضوع معروض"، يشير برانستيتر أنه عندما يكون مسموح للجميع بالكلام حول أي موضوع يريدونه، يجنح الجميع لترك الجدال المنطقي. في السابق حالت الفلاتر في الوسائل الإتصالية من حدوث ذلك[٢]. كما يرى بعض المنظرين أنّ الإتصال عبر الحاسوب يؤدّي إلى غياب أو تقليص "الإشارات الإجتماعية" الى أدنى حد، وهي إشارات تحدد السياق الذي يجري الإتصال في إطاره، وهذا يجعل الإتصال الإلكتروني يجري في فراغ إجتماعي، وهذا الإتصال يحمل في طياته جانبًا سلبيًا يتجلّى في عدم المسؤولية[٣]، هذا ما يدفع البعض إلى التحدث بأمور أو مواضيع لم يكن يجرؤ من قبل على الحديث بها في المجتمع وأمام الجميع كالأفكار المتطرّفة والعنصرية.

جميع هذه الأمور السلبية والمسرطنة للمجتمعات تتمتع بها منصّات التواصل الإجتماعي:

أولاً، مسموح للجميع الكلام وهو حق تقتخر هذه المنصّات بإعطائه لمن لم يستطع من قبل من إيصال صوته للعالم.

ثانياً، مسموح للجميع الكلام بأي موضوع يريدون التحث به مهما كانت صحة الموضوع من نظريات مؤامرة وأخبار كاذبة، وما لهذا الموضوع لأثر سام على المجتمعات.

ثالثاً، تختفي على المنصّات أبسط "الإشارات الإجتماعية" وتختفي المسؤولية والدليل الإبتزازات والتحرّشات التي تحصل بين المستخدمين.

---

[١] فريال مهنا، مرجع سابق، ص ١٣٠

[2] Thomas J.Main, "**The Rise of the Alt-right**", Brookings Institutions Press, Washington, D.C, 2018, p.99

[3]Lee Sproull, Sara Kiesler, "**Connections: New Ways of Working in the Networked Organization**",The MIT Press; Reprint edition, Cambridge, 1992, p. 104

بالإضافة الى هذه الأمور، طريقة عمل المنصّات وبرامجها التشغيلية والخوارزميات تؤدّي الى آثار سلبية إجتماعية. لفهم هذا الأمر أسرد تجربة شخصية مع منصة فايسبوك، انشئت صفحتي على الموقع في العام ٢٠٠٨ أي بعد بضعة أعوام من إنتشاره عالميًا، في البداية كانت دائرة الأصدقاء على صفحتي صغيرة وكان من الممكن متابعة جميع أخبارهم وملصقاتهم. اتسعت هذه الدائرة وزاد عددهم ولكن من يريد تمضية وقت أطول يستطيع تتبع كافة الأخبار. بعد تعقد المنصّة وإضافة كبسة الإعجاب (like) ودخول الإعلانات في زوايا الصفحات، بدأت ألاحظ أن أخبار بعض الأصدقاء لم تعد تظهر على صفحتي، وفقط الدائرة المقرّبة مني تظهر أخبارها. بعد البحث والتدقيق تبين أن الصفحات الخاصة (Newsfeed) لكلّ مستخدم هي حسب طريقة تصفحه للمنصة، فمثلاً عندما تضع إعجاب لشخص ما تعمل البرامج على زيادة أخبار هذا الشخص على صفحتك وحجب من لا تضع له الإعجاب، هذه البرمجة تؤدّي إلى تشكيل صفحات المستخدمين بشكل يشبه توجهاتهم وآرائهم ويحجب الرأي الآخر.[2١]

ما يزيد من هذه المشكلة ما يسمى بحبّ المِثْل (homophily). البشر بطبيعتهم كائنات إجتماعية، وهم كذلك لأن "حبّ المثل" يدفعهم للعيش وتقبّل وحبّ جميع الأشخاص الذين يشبهونهم. هذا الحبّ انتقل الى العالم الإفتراضي على المنصّات والإنترنت، فالمستخدم وبسبب إعجابه للأشخاص الذين يشبهونه تصبح صفحته مثل أهوائه وأفكاره ومعتقداته، وكذلك الأمر ما ينشره هؤلاء "المحببين" له سوف يصدقه دون أي تساؤل عن مصدر الخبر أو صحته[٣]، أبرز مثال على ذلك هي الأخبار التي تصل إلى عائلتنا، الكبار بالسن خصوصًا، من المجموعات التي تنتمي إلى نفس منطقتهم أو طائفتهم، فيصدقون الخبر مباشرةً (بسببإرساله من قبل "المِثْل" الذي لا يَكذِب) وينشرونه فورًا. أما البرامج المشغلة فعندما تلاحظ نشاط معين حول خبر ما كنظرية المؤامرة أن الأرض مسطحة وليست دائرية، يقوم فوراً بتوصية (Recommendation) الخبر لجميع الأشخاص الذين أبدوا سابقًا أو نشروا أخبار نظريات المؤامرة. هذه التوصية موجودة في جميع منصات التواصل

---

[1]P.W Singer and Emerson T. Brooking ,op. cit., p.١٢٢-١٢١

[2]"**The Social Dilemma**", op.cit.

[3]P.W Singer and Emerson T. Brooking,op. cit. , p.١٢٣

تقريبًا، فعلى يوتيوب مثلاً لا يلبث أن ينتهي الفيديو حتى يضع بين يديك مجموعة من الفيديوهات كتوصية مبنية على معلومات مسجلة حول استخدامك للمنصة أو الداتا الخاصة بك.

إذًا طبيعة البشر من حبّ المثل مضاف اليها برامج مشغلة وخوارزميات تقوم بتوصيات وتغير بما يراه المستخدم، تطرح تساؤل كبير حول موضوعية المنصّات وحرية الأشخاص بمتابعة الرأي الآخر، وتؤدّي إلى تباعد بين وجهات النظر وبالتالي تباعد قطبي (polarization) مما يجعل من المجتمعات قبائل منقسمة على نفسها. يقول غيلامو شاسلوت وهو مهندس سابق لموقع يوتيوب أن التباعد القطبي هو فعال جدًا في بقاء المستخدمين وقت أطول على الموقع وبالتالي زيادة النشاط والأرباح طبعًا، والخوارزميات تزيد من هذا التباعد عبر سياسة التوصية.[1]النتيجة إذًا تجمعات إجتماعية جديدة ومؤقتة وسطحية، كالقبائل سابقًا حيث تتميّز "بتطوّر مجموعات مجهرية ذات تراكيب متغيرة، تعيش حالات اجتماعية مائعة مصنوعة من تجمعات نقطية ومتفرقة"[2]، ويجادل مايروتز أنّ اتساع المجموعة التي أوجدتها المعلومات المشتركة بواسطة الإعلام، يصبح أكبر بكثير في العصر المعلوماتي من أن يستطيع النهوض بالتجانس التقليدي للمجموعة[3]، وتنقسم عندها المجموعات. لعل أبرز دليل على ذلك هو المجتمع اللبناني الذي هو بالأصل منقسم منذ ما قبل الإستقلال حتى اليوم، هذا الإنقسام انعكس مباشرةً على المنصّات التواصلية ولكن الفرق هو أنّها زادت من المشكلة بدل جمع الناس كما تدعي المنصّات فعله، أول سبب في ذلك هو غياب الرادع الإجتماعي كما تمّ الذكر حيث الفلتان الأخلاقي والتحدّث بأمور لم يكن يجرؤ أحد من قبل بالكلام بها إلا القليل، وثانيًا لأنّ جميع الأخبار أصبحت متوفرة على المنصّة وبالتّالي كل يوم هناك سبب جديد للحرب الإلكترونية ومعركة للشتائم بين مناصري التيارات والأحزاب.

هنا يبرز التسائل الأهم، لماذا لا تتدخل شركات المنصّات لحجب جميع الأخبار المسرطنة؟

---

[1]"**The Social Dilemma**", op. cit.

[2]Michel Maffesoli, "**The Time of the Tribes The Decline of Individualism in Mass Society**", Translated by Don Smith, SAGE Publications, London,1996, p. 104

[3] Joshua Meyrowitz, "**No Sense of Place The Impact of Electronic Media on Social Behavior**", Oxford University Press, Oxford, New York, 1986, p.135-136

المطلب الثاني: حرية تعبير مسرطنة

تتذرع منصّات التواصل الإجتماعي لعدم تتدخلها في أحاديث مستخدميها بقانونين أميريكيين هما التعديل الأول لدستور الولايات المتحدة الأميريكية والمادة ٢٣٠ من قانون التواصل الأدبي ، وذلك لأنّ معظم المنصّات الشهيرة عالمياً هي ذات منشأ أميريكي وتتقاضى بالقانون هناك.

- **التعديل الأول لدستور الولايات المتحدة الأميريكية**هو جزء من التعديلات العشر للدستور والتي تشكل ميثاق الحقوق (Bill of Rights)، أقرت عام ١٧٩١. يضمن هذا التعديل حرية المعتقد، التعبير،الإجتماع والمسائلة، ويمنع الكونغرس من تفضيل أي دين على الآخر ومنع القيام بالشرائع الدينية. كما يضمن حرية التعبير من خلال منع الكونغرس أيضًا من الحدّ من حرية الصحف أو حرية الأشخاص بالكلام.[١]
- تحت ذريعة التعديل الأول والحريات بقيت **المادة ٢٣٠ فقط**من قانون التواصل الأدبي (من أدب) الذي وجد ليحكم مواقع الإنترنت خاصة الإباحية منها، أما باقي مواد القانون فقد جمّدتها الممحكمة العليا واحدة تلوة الأخرى. تنصّ هذه المادة أنّه لا يمكن محاكمة المواقع الإلكترونية وأصحابها عما يصدر من مستخديمها من كلمات وأخبار وصور وغيرها.[٢]

هكذا ورغم كل الدعاوى التي رفعت على منصّات التواصل الإجتماعي تمّ ربحعدد قليل منها، وهناك محاكم ما زالت قائمة حتى اليوم حول إحتكار المنصّات للإنترنت. لذا تبقى تلك الأخيرة بطريقة عملها تزيد من ظهور وانتشار الأخطاء المجتمعية من تباعد قطبي وأخبار كاذبة، وبالتّالي المجتمع اليوم مريض ولا يوجد ثقة بين أصحاب وجهات النظر المختلفة ولا يستطيعون التوصّل فيما بينهم إلى حلول وسطية.

---

[1]Jack N. Rakove, "**The Annotated U.S. Constitution and Declaration of Independence**", The Belknap Press of Harvard Univerity Press, Cambridge, 2009, p.223

[2]P.W Singer and Emerson T. Brooking ,op. cit.,p. ٢٢٤-٢٢٥

عند اختراع الإنترنت وظهوره كوسيلة إتصالية بين البشر خاصة بعد تبادل أولى الرسائل الإلكترونية، ساد في الوسط العلمي أفكار وأبحاث متفائلة تقول أن هكذا شبكة سوف تحرر البشر وتزيد من حرياتهم في التعبير، خاصة وأنّها تفاعلية وستكسر احتكار المؤسسات الإعلامية التي سيطرت على كافة أنواع البث الإذاعي والفضائي وحتى الصحف. ولكن سرعان ما استدرك العديد من العلماء هذا التفاؤل وتحول الى الواقعية وحتى التشاؤم أبرزهم نوم تشومسكي الذي لاحظ أن التكنولوجيا الجديدة تسمح لتلك المؤسسات (الإعلامية) بتقليص عمالها وزيادة انتاجيتها ما قد يزيد من الإحتكارات[١]. ومنهم أيضاً فيليب بروتون الذي ردّ على المتفائلون الذين رأوا في شبكة الإنترنت وصفات سحرية للقضاء على أمراض المجتمعات المعاصرة من خلال الفصل بين الواقعين الخلبي والواقعي وبالتالي إختفاء العنف الناتج عن إختلاف الآراء وبقائه خلف الشاشات، حيث قال أنّه لتحقيق ذلك يجب على تلك المجتمعات أن تعيش داخل الشبكة فقط دون أن تلتقي أو أن تتصل فيزيائيًا أو ماديًا[٢].

بعد ذلك ظهرت منصّات التواصل الإجتماعي التي هي بذاتها وليس الوسط العلمي تتغنى بجمعها للأشخاص وإفادتها للمجتمع والإقتصاد وتسمح للجميع بممارسة حريتهم في التعبير، أما في الممارسة فقد تبيّن أنّها وسيلة إتصالية متسارعة وسريعة بحيث لا يستطيع المستخدم قراءة كل التغريدات مثلاً أو التعليقات لمعرفة الرأي والرأي الآخر، ومعظم هذه الأخبار كاذبة وبالتالي يختفي الجدال الحقيقي والبنّاء. إذًا في هذه الوسيلة الإتصالية **المرسل والمرسل إليه** هم أشخاص عاديون ومراسلون وسياسيون وكلّ من يستخدم المنصّات، وهم يتفاعلون فالمرسل يتحول إلى مرسل إليه في نفس اللحظة والعكس صحيح، ولكن هذا التواصل هو ذاته منقسم ومتشرذم، يتم فلترته من قبل شركات غير موضوعية هدفها الربح محتكرة للتواصل الإجتماعي بسبب طريقتها الإدمانية، هذه الفلترة تؤدّي إلى القبلية بسبب رؤية المستخدم ما يحب رؤيته ويسمع فقط ما يتوافق مع رأيه. أمّا

---

[1] Christian Fuchs, op. cit. ,p.٧٣

[٢] عرض فيليب بروتون استاذ علم الإجتماع في جامعة ستراسبورغ الفرنسية هذه الأفكار في ورقة قدمها الى مؤتمر "التقانيات المعلوماتية والمجتمع" الذي انعقد في بيروت خلال الفترة ما بين ١٤-١٦ حزيران ٢٠٠١، والذي نظمه المكتب الإقليمي لليونسكو في بيروت، بالتنسيق مع الجامعة اللبنانية، فريال مهنا، مرجع سابق ص ٥٦١-٥٦٢

الرسالة فهي عدد غير متناهي من الأفكار والأيديولوجيات التي قد ينتشر بعضها أو يموت البعض الآخر حسب أهواء الخوارزميات التي يتحكم فيها عدد قليل من رؤساء الشركات، أو تُنشر وترسل عن قصد من قبل أطراف دولية مثلاً، وهنا الحرب الإلكترونية.

الفصل الثاني

منصّات التواصل الإجتماعي والعلاقات الدولية

إنّ كلّ ظهور لوسيلة إتصالية جديدة كان لها أثر شخصيّ أو إجتماعيّ أو إقتصاديّ أوسياسيّ، وأحدث وسيلة إتصالية، وهي الإنترنت وتطبيقاتها أبرزها منصّات التواصل الإجتماعي، لا يتعدّى عمرها الثلاثون عامًا للإنترنت والخمسة عشر عامًا للمنصّات، وبالتّالي مازال العلماء يبحثون كيف ستؤثّر على كافة الصُعد. ولكن تبين أن هناك تأثيرات وهي خاصة بكل مستخدم وبالمجتمعات التي تستعمل هذه الوسائل، وهي مدخل لفهم تأثير المنصّات السياسيّة. ولأنّ"علم السياسة يتناول دراسة الدولة، والدولة محور العلاقات الدولية، وإنّ السياسة الخارجية لدولة مرتبطة بنظامها السياسي"[١]، فإن فهم تأثير المنصّات على العلاقات الدولية يمر بفهم تأثيرها على السياسة والدول.

المبحث الأول: الأثر السياسي لمنصات التواصل الإجتماعي

يقول استاذ الصحافة في جامعة النجاح الوطنية الدكتور فريد أبوضهير:"القاعدة الرئيسة التي تجمع عليها معظم الدراسات، أنّه كلما حدث تطور في وسائل الإعلام والإتصال، فإنّ تغيّرًا ما، إما سياسيًّا أو إجتماعيًا أو إقتصاديًا سيطرأ غلى المجتمعات"[٢]. تمّ البحث في الفصل السابق عن تأثير منصّات التواصل الإجتماعي الشخصية والإجتماعية، هذه الوسائل بهذا القدر من التأثيرات سوف تترك بصمتها على الحياة السياسية للشعوب وهو محط البحث في هذا الفرع. أولاً من الصعب الحديث عن التأثيرات السياسة للمنصّات دون الحديث عن ثورات ما سمّي بالربيع العربي أو ثورات الفايسبوك. ثانيًا سيتم البحث عن إستخدام الأنظمة الشمولية والحكام ذات القبضات الحديدية لمنصّات التواصل الإجتماعي للسيطرة على شعوبهم. ثالثاً عن ظاهرة التطرف وداعش وكيف ساهمت المنصّات بنشأتهم وانتشارهم. أخيرًاإعطاء مثال حيّ عن واقع السياسة في الولايات المتحدة في ظلِّ سيطرة الوسيلة الإتصالية الأحدث على عالم التواصل بين الناس.

الفرع الأول: دور المنصّات فيالثورات

[١] في مؤتمر غقد في مدينة كمبردج، في بريطانيا عام ١٩٥٢، بناءً على دعوة منظمة الأونيسكو، تم الإتفاق على أن العلاقات الدولية تشكل فرعاً من علم السياسة. في عصام سليمان، مرجع سابق، ص ١١٢

[٢] مقابلة أجراها الباحث مصعب حسام الدين القتلوني غبر الهاتف مع الدكتور فريد أبوضهير حول مستقبل الفيسبوك سياساً في الوطن العربي. ٢٠١٢/٥/٩، في مصعب حسام الدين قتلوني، مرجع سايق ص ٢١٦

في سنة ٢٠١٠ وتحديداً يوم ١٧ كانون الأول، أضرم محمد البوعزيزي النار بنفسه إحتجاجًا على مصادرة الشرطة التونسية لعربته التي يسترزق منها، ومن هذه النيران كانت الشرارة التي أشعلت نار الثورات في العالم العربي التي انتقلت بشكل سريع من تونس إلى مصر وصولاً إلى سورية مروراً بليبيا واليمن. لفهم ما حدث ودور منصّات التواصل الإجتماعي لا بدّ من شرح واقع الإعلام في الدول العربية بشكل عام وهذه الدول بشكل خاص.

المطلب الأول: الإعلام العربي

الإعلام في العالم العربي بدأ علي أيدي الأوروبيين أو العثمانيين وفي بعض الحالات كلبنان من قبل الوطنيين الذين أنشأوا بعض الصحف التحررية، بعد الإستقلال إستحوذت الأنظمة على الوسائل الإعلامية كافة ليتحول الإعلام في هذه البلادإلى النظام الرسمي، وأحكمت السلطة قبضتها على تلك الوسائل "كمظهر من مظاهر الإستقلال الوطني، بعد أن كانت تحت السيطرة الإستعمارية الكاملة أثناء الإحتلال"[١]. حتى الصحف التحررية التي أنشئت في لبنان وغيره كمصر والعراق وسورية، فقد قامت الأنظمة بإسكاتها الواحدة تلوة الأخرى، وتحولت كافّة الوسائل الإتصالية إلى وسائل دعائية تتوجّه بها الحكومات إلى الشعوب لضمان السيطرة بطريقة عامودية بحتة، ولم يعد باستطاعة رأي الجمهور الظهور فهو في العقل فقط إن وجد. هذا هو واقع الإعلام والرأي العام في هذه البقعة الجغرافية التي هي أيضاً امتلئت بكافة أشكال الفساد.

السلطة في العالم العربي ترتكز على ثلاثة ركائز أساسيّة: القوى العسكرية، أيديولوجيا مقبولة من الجماهير ولو من حيث الشكل، وإعلام قوي لمساندة السلطة و"صناعة القبول". هذه "المكينة" السياسية أتاحت للحكام بنهب خيرات وثروات شعوبهم في ظل تعتيم إعلامي بحيث لا يدري أحد ماذا يفعل هؤلاء، وفي حال معرفة البعض بما يحدث فهو أمام خياران إما السكوت أو الموت. هكذا تكون قاعدة الشعبية مهيّئة للإنفجار نظرًا للقمع الشديد التي تتعرض له يوميًا وعدم السماح بأبسط تعبير عن الرأي الذي يعتبر تنفيسًا للإحتقان، حيث تشير العديد من الدراسات والأبحاث في الولايات

[١] نديم منصوري، مرجع سابق ص ٥٦

المتحدة الأميريكية وأوروبا أن الدول عندما تغلق نوافذ الإعلام فإنها تغلق نافذ من نوافذ التنفيس السياسيّ[١]. وسائل ومنصّات التواصل الإجتماعي ستكون نافذة كبيرة جدًا من هذه النوافذ.

قبل انتشار المنصّات بعشر سنوات توقع لاندو أن النظام النّصي الممنهل في شبكة الإنترنت يخلق قرّاء يتمتعون بسلطات أكبر، "لأن منطق تقانيات المعلومات الذي يجنح نحو بعثرة المعرفة، يفضي إلى تعاظم الدمقرطة وإلى لا مركزية السلطة، كما يؤدّي إلى مزيد من الحرية ومن سلطة الفرد"[٢]. هؤلاء القرّاء هم شباب العالم العربي وأول من استعمل الوسيلة الإتصالية بشكل فعّال وعرف كيف يستغلها لأقصى الحدود. تشير الأرقام أن عدد مستخدمي الفايسبوك في العالم العربي إزداد من١٩ مليون مستخدم في العام ٢٠١٠ إلى ٣٦ مليونًا علم ٢٠١٢ ليصل الى ٤٦ مليونًا عام ٢٠١٣، هذا يعني أن مستخدمي الفايسبوك في العالم العربي كانوا يزدادون في الأشهر الأربعة التي أعقبت الثورات بأكثر من ٥٨٠٠٠ مستخدم في اليوم[٣]. هذه "المحركات" التحررية مضاف إليها الأعداد الكبيرة للمستخدمين وفي ظل الأرضية الخصبة للإنفجار، أنتجت ثورات في العالم العربي سميت بثورات الفايسبوك، وبغض النظر عن الواقع الجيوسياسي وموازين القوى في ذلك الوقت والتي ساهمت بشكل أو بآخر في هذه التحركات، سيتم التركيز فقط في هذا البحث على تأثير الوسيلة الإتصالية فيها.

المطلب الثاني: دور وسائل الإتصال الحديثة

تعتبر المتخصصة بالتاريخ الحديث كاترين لاكورستول في مقال لها بصحيفة لوفيغارو الفرنسية أن " عوامل عديدة تتفاعل بعضها مع بعض لتجعل شعبًا ما يصل الى الإنفجار والناس عادةً ما يتواصلون مع بعضهم في مثل هذه الحالات، لينظموا تفكيرهم وخطواتهم الفعلية...عبر العائلة والمعارف والأصدقاء حتى تكبر الحلقة، وهو ما استعاض عنه الشبان العرب اليوم بالإنترنت ومواقع التواصل"[٤]. إذًا في الحالة العربية العوامل التي تؤدّي الى إنفجار الشعوب جاهزة وتمّ ذكرها سابقاً،

[١] مصعب حسام الدين قتلوني، مرجع سابق ص ١٢٩

[٢] فريال مهنا، مرجع سابق ص ٥٥٦

[٣] نديم منصوري، مرجع سابق ص ٦٣

[٤] مصعب حسام الدين قتلوني، مرجع سابق ص ١١٢

بقي التواصل بين الناس الذي تحقق عبر الإنترنت ومنصّات التواصل الإجتماعي. هناك أربعة خصائص أو عوامل منحت تلك الوسائل الإتصالية دورها المهم في التواصل الذي أدّى الى الثورات:

١- **ميزة الإتصال السريع**حيث تنتقل أخبار أي حدث بصورة سريعة جدًا ويتم استثماره والدعوى إلى الإحتجاج والتجمع بطريقة "أسرع من الشرطة وقدرتهم على القمع".
٢- **قدرتها على التعبئة وتنظيم الإحتجاجات**، سابقاً كانت عملية الدعوى إلى الإحتجاجات في غاية الصعوبة والخطورة حيث كانت السلطات بالمرصاد لأي رسالة في هذا الخصوص، أما المنصّات وبسبب سرعتها وانتشارها الكبير أنتجت البديل للثوار وأصبحت الدعاوى تنشأ وتنتشر عليها وتلقى القبول لدى عدد كبير من المستخدمين. في كلمات الكاتب التكنولوجي كلاي شيركي، أعطت منصات التواصل المتظاهرون طريقة للتنظيم من دون منظمات.
٣- **صناعة الرواية الإعلامية**خاصة بعد أن كان الإعلام وروايته حصرية للسلطة السياسة وأجهزتها، وصارت الحقيقة تصل كما هي الى الجميع.
٤- **فضح السلطات السياسة** من خلال تسليط الضوء على جرائم الظل التي كان يقوم بها الحكام الديكتاتوريون المتشبثون بالسلطة.[٢١]

هكذا تهيأت الأمور وانتظرت الشرارة التي أطلقها البوعزيزي وانفجرت في معظم الدول العربية لتشابه الوضع السياسي عندهم، ولم يستطع الحكام الذين تشبثوا بكراسيهم لعقود طويلة باللحاق بسرعة ما يحدث، ما أدّى إلى سقوطهم الواحد تلو الأخر بدايةً بزين العابدين بن علي وبعده حسني مبارك تماماً كتأثير الدومينو (Domino Effect) وكلّ ذلك في غضون أيام وأشهر. ولكن هل منصّات التواصل الإجتماعي لديها هذه "القوة التحررية"* وهل ستأتي بثمارها في دول أخرى كما حصل في البعض الدول العربية؟ أثبتت التجربة في بيلاروسيا وحتى في الدول العربية أن ربيع منصّات التواصل الإجتماعي لم يلبث الى أن تحوّل سريعًاإلى خريف وشتاء بسرعة، فما الذي حصل؟

---

[١] المرجع نفسه، ص ١١٦

[2]P.W Singer and Emerson T. Brooking, op. cit. p.٨٦

يستذكر أحد الثوار في بيلاروسيا، وهي دولة كانت تنتمي الى الإتحاد السوفياتي سابقاً ويحكمها ديكتاتور لأكثر من ثلاثة عقود، أنّه عند وصول خبر الثورات العربية إلى سكان بيلاروسيا والطريقة التي يستخدم فيها العرب الإنترنت للإطاحة بزعمائهم، تحمسوا وظنّوا أنّالخلاص قد أتى، وباشروا بتنظيم التحركات والمظاهرات للإطاحة بالحاكم. ولكن ما حصل كان مغايرًا تمامًا لسيناريو تونس ومصر وغيرهما حيث قامت السلطات بمعرفة ما يحدث على الشبكة والمجتمعات الإفتراضية والمجموعات الثورية وتصرّفت بشكل سريع لناحية القبض على المنظمين وإجهاض التظاهرات في المهد وحتى قبل ولادتها. السبب في نجاح السلطة هناك هو وجود مجموعة من الشباب المثقفين تكنولوجيًا في الإدارات الرسمية وليس من الجيل الأميّ في هذه الأمور كالدول العربية التي تحمل في داخلها أيضاً بذور فشل الثورات.[١]

كما كان الشعب العربي جاهزًا ومحتقنًا ليقوم بثورة وكانت منصّات التواصل الإجتماعي الوسيلة والوقود والمنظم للتحركات، فإنّ هذا الشعب يحمل في داخله أيضًا بذور التفرقة العنصرية والدينية والمذهبية إلخ.. وكما تبين سابقًا فإن من تأثيرات المنصات الإجتماعية تجميع المستخدمين الذين يفكرون بشكل مماثل وعدم مشاهدة أصحاب الآراء المخالفة لهم ما يخلق تباعد قطبي وعدم الوصول إلى حلول وسطية بينهم بسبب غياب التواصل والثقة المتبادلة. لذا ما أدّى الى الثورات ساهم بفشلها بعد مدة قصيرة. ففي دراسة عام ٢٠١٦ في جامعة جورج واشنطن لأكثر من ٦٣ مليون ملصق وتغريدة على فايسبوك وتويتر، هدفت إلى شرح كيف استغل الحكام السلطويون الثورات الديمقراطية في العالم العربي. تبيّن أنّ المنصّات استطاعت أن تحرّك مجموعة الأشخاص البؤساء بسبب ميزتها التنظيمية وسرعة انتشار الأخبار عبرها، ولكن حصل الإنقسام بعد ذلك بسبب "طريقة عمل المنصّات التي تجمع المتشابهون وتقوّي الروابط بينهم، وتبعدهم عن باقي المجموعات"، وبمجرد سقوط الحكام وهم العدو المشترك للثوار، بدأت المجموعات تكنّ العداوات لبعضهم البعض وتنهار الوحدة المؤقتة التي قامت بينهم. تخلص الدراسة الى أن "منصّات التواصل الإجتماعي تحثّ على

*تعبير أطلقه روجير كوهين لمنصات التواصل في صحيفة نيويورك تايمز

[1]P.W Singer and Emerson T. Brooking, op. cit. p.٨٦

الإنقسام والتباعد القطبي الإجتماعي والسياسي بسبب قدرتها على نشر الصور العنيفة والإشاعات المخيفة بسرعة وكثافة كبيرتين".[١]

من الأمثلة الحديثة أيضاً عن فشل منصات التواصل الإجتماعية في الحركات الإحتجاجية هي المظاهرات التي قام بها اللبنانيون على كافة الأراضي في تشرين الأول من العام ٢٠١٩، الأسباب التي دفعت بهم شبيهة للتي حركت الشعب المصري وغيرهم وهي فساد الحكام وسرقتهم لثروات البلد ويختص لبنان بأزمات أخرى هي من أبسط حقوق البشر كالكهرباء والمياه المحرومين منها. هذا الحقد على الزعماء حرك اللبنانيين وتوحدوا لفترة لم تَتَخَطَّ الثلاثة الأيام لأن بذور الإنقسام عند اللبنانيين جاهزة والأرض خصبة، وإذا ضاع الحكام في أول ثلاثة أيام وظنّوا أن نهايتهم قد اقتربت، الإ أن لملمة الخوف والإتيان بالحلول جاء سريعًا، حيث كانت نظريات المؤامرة والتخوين جاهزة وانقسم المحتجون فورًاإلى قسمين الأول يخوّن "الثوار" ويتهمهم بتلقي الأموال من السفارات الأجنبية والفريق الثاني يعتبر أنّ الفريق الأول هو أصل المشكلة في لبنان ولا حلّإلا بزواله. هكذا أفشل الحكام اللبنانيون التحركات من خلال تسليط الجيوش الإلكترونية للقيام بحروب وهمية بين المستخدمين على تويتر وفايسبوك وغيرهما.

لقد حالف الحظ الثوار العرب خلال "الربيع العربي" وثورات الفايسبوك لأنهم عرفوا كيف يستغلّون قوة المنصّات الإجتماعية والسياسية وهم بكل بساطة وصلوا إليها واكتشفوا قوتها قبل السلطات التي بسبب القوة القهرية التي تحتكرها الدول، كانت لها اليد العليا والأقوى في استخدام المنصّات تمامًا كما حدث في بيلاروسيا ولبنان. كما أن بعض الدول بدأ يستخدم المنصات للسيطرة على شعوبها كحركة استباقية وتعلموا مما حصل سابقًا، يقول الأكادميين ريبيكا ماك كينون و إفجني مورزوف أن استخدام منصّات التواصل الإجتماعي سيقوّي قبضة الأنظمة المستبدة وفي نفس الوقت قد يُضعفهم[٢].

الفرعالثاني: إستخدام الأنظمة الشمولية لمنصات التواصل

---

[1]P.W Singer and Emerson T. Brooking, op. cit. p.٨٦

[2] Clay Shirky, op.cit. , p.38-39

تقوم السلطات الحاكمة لدول العالم كافة بمهمة الحكم وإدارة الموارد، ومن أهدافها الأساسية وعلامات نجاحها رضا الشعب عنها وعن سياساتها. ولكن ديمقراطيةً كانت هذه السلطة أو ديكتاتورية شمولية أومستبدة، تلجأ لطرق ملتوية أحياناً لضمان هذا الرضا. كما تبيّن سابقاً في الأنظمة الديمقراطية هناك "نموذج للدعاية" و"صناعة القبول" للشعب وهو ما تمّ شرحه بالفصل الأول، أمّا في الأنظمة الشمولية والمستبدة هناك "العصا" أو استعمال القوة لقمع الشعب وصناعة قبوله. ولكن استعمال القوة لا يأتي بثماره إذا ما استعمل معه السيطرة على انتقال المعلومات والدعاية(البروباغندا) وكتابة التاريخ بما يتناسب مع فكر السلطة أو الحزب أو... إلخ الحاكم.

المطلب الأول: السيطرة على الحقيقة

يقول جورج أورويل في روايته الشهيرة أن شعار الحزب الحاكم هو " من يتحكّم بالماضي يتحكم بالمستقبل، ومن يتحكم بالحاضر يتحكّم بالماضي" ويصف هذا الشيء "بالتحكم بالواقع"[1]. فعبر التاريخ حرص الحكّام المستبدون على التحكّم بالواقع والمعلومات وبالتالي التاريخ ليضمنوا حكمهم الحالي وفي المستقبل، هذا التحكّم يتمّ عبر السيطرة على الحقائق، فما يخرج من مؤسسات السلطة هي الحقيقة المطلقة وكل معلومة أخرى هي كاذبة ومضلّلة وتهدّد الوضع الحالي والأمن القومي. فالحكّام المستبّدون يخافون من الحقيقة لأنّها تفضح ممارساتهم وفسادهم أو أقله الضرر الهامشي الناتج عن قرراتهم، على سبيل المثال قرارات رئيس الإتحاد السوفياتي السابق جوزيف ستالين في إعادة الهيكلة الزراعية وطريقة توزيع الفلاحين على الأراضي التي أدّت إلى مجاعة في أوكرانيا حيث حرص على عدم تسرب أخبار تلك المصيبة إلى كافة أنحاء العالم ليقلّل من الضرر المعنوي الذي سيتعرض له الأتحاد. ولضمان هذه الصورة الجيدة قام بمزيج من الإبتزاز والإغراء لمراسل صحيفة نيويورك تايمز دوراين لحثّه على نشر مقالات عن أوكرانيا تنفي "مزاعم" المجاعة هناك على الرغم

[1]George Orwell, "**1984**", Signet Classic, New York, 1950, p.44

من سفره ورؤيته هول الجوع لدى السكان. هكذا تحرص الأنظمة الشمولية على السيطرة على الحقيقة والتحكم بالماضي والمستقبل عبر المعلومة.[١]

ومن أوجه السيطرة على الشعوب والحقائق من قبل هذه الأنظمةهو التحكم بالوسائل الإتصالية الجماهيرية، ويتمّ ذلك من خلال مراقبة الصحف والإذاعات وما يكتب ويبث، وقد يصل التحكم إلى المكتبات وذلك لتلف كل ما يتنافى مع مبادئ الحكام وأحزابهم. كما تستخدم هذا الوسائل لنشر الدعاية وحشد الجماهير وطاقاتهم، إن أبرز مثال على إستخدام الإذاعة لذلك هو ما قام به هتلر والنازيون، حيث كان وزير الدعاية جوزيف غوبلز، يستخدم الإذاعة وهي حديثة الولادة في ذلك الوقت وينتهز انتشارها الواسع بين الناس لينشر الدعاية بطريقة شعبوية وخلاقة مستخدماً كاريزما أو شخصية هتلر المؤثرة. تقول المحاضرة في جامعة يال في كلية العلاقات الدولية أشا رانغبا:" السيطرة على المعلومات المتناقلة ونشر الدعاية يصنعان الواقع الذي يعيش فيه المواطنون في دولة ما". [٢]هذا كان واقع الدول ذات الأنظمة الشمولية في زمن الوسائل الإتصالية القديمة التي سخرت لأهداف استمرارية حكم المستبدين وإحكام القبضة على السكان، الى أن جاء إختراع الإنترنت ومنصّات التواصل الإجتماعي.

كما تبين سابقًا، طبيعة الإنترنت واستخداماته التفاعلية أدّى إلى تفاؤل الأكاديميين والتنبؤ أنّه أداة تحررية وتساعد على الدمقرطة، وذلك لأنّ الحقائق ستصبح جلية وواضحة ومتوفرة للجميع، وبالتالي لن يستطيع الحكام الفاسدون الإختباء خلف الصحف المأجورة أو المُهددة والناشرة للأكاذيب. وكما ساعدت الصحافة بدمقرطة أوروبا فإنّ الإنترنت ستاساعد على دمقرطة العالم. ولكن هذا التفاؤل انتهى مع انتهاء الثورات العربية أي عندما تعلمت الأنظمة الشمولية كيف تسخّر الوسيلة الإتصالية الأحدث لنفس الغايات التي سخرت الإذاعة والصحف والتلفاز لها في الساب

المطلب الثاني: أيديولوجيات الإنترنت

---

[1]"**How to Become a Tyrant**", Peter Dinklage, Netflix, 2021, تاريخ الدخول: ٢٠٢١/٨/٢١, https://www.netflix.com/lb-en/title/80989772

[2]Ibid.

يُقسم فوش الأيديولوجيات في عصرنا الراهن الى أيديولوجيات الإنترنت والأيديولوجيات على الإنترنت، أيديولوجيات الإنترنت هي تتحدث عن السيطرة على التواصل الحديث على الشبكة والتي تقوم بها الدول[١]. هذا التحكّم يتمّ من خلال أربعة خطط أو تدابير وهي شبيهة بالطرق القديمة المذكورة أعلاه وأتقنت الأنظمة الحالية استخدامها على شبكات الإنترنت، أولاً السيطرة على البنى التحتية التكنولوجيا واحتكار تصنيعها وتركيبها، ثانيًا تسخير منصّات التواصل الإجتماعي وبرامجها المشغلة لنشر الدعاية، ثالثًا قمع حرية التعبير الممارسة عبر الإنترنت، رابعًا وأخيرًا التحكّم بتصرفات شعوبهم باستخدام المنصّات والإنترنت.

بدايةً وللسيطرة على الإنترنت والمنصّات الإجتماعية، تقوم الدول الشمولية بالتحكم بالبنى التحتية للإنترنت واحتكارها وذلك لعدة أسباب أهمهما السيطرة على الداتا الكبيرة التي ينتجها تصفح الشبكة واستخدام منصّات التواصل، وقد ورد سابقًا أهمية هذه الداتا، وأيضًا حمايتها من المخاطر السيبرانية كالتجسس وسرقة المعلومات الشخصية أو الصناعية أو المؤسساتية. منصّات التواصل الإجتماعي الأقوى والأكثر انتشارًا هي أميريكية ومقراتها موجودة على أراضي الولايات المتحدة الأميريكية، كذلك الأمر بالنسبة للإنترنت ذات النشئة الأميريكية. هذا الإحتكار دفع بالعديد من الدول وخاصة الشمولية إلى محاولة كسر هذا الإحتكار أبرزهم جمهورية الصين الشعبية، ففي قمة عالمية دعت لها الأمم المتحدة في تونس،لم يتمّ الإتفاق على التنوّع في إدارة الإنترنت، والولايات المتحدة وإسرائيل رفضتا مشروع التمويل والإنفاق لإتفاق آخر في الدورة ٣٣ في قمة الأونيسكو[٢]، في دليل على أهمية التحكم بالإنترنت وبناه التحتية.

يقوم النظام الصيني وخاصة بعد استلام جي جينبينغ(Xi Jinping) الحكم عام ٢٠١٢ بوضع أربعة أولويات فيما خصّ السيطرة على الإنترنت والمنصات، ما يهمنا منهم هو تخفيض الإعتماد على البنى التحتية الأجنبية، وتأميم التكنولوجية الصينية. تخفيض الإعتماد هذا يخصّ المحولات الجزئية(semiconductors) والحواسيب فائقة القوة (quantum computing) و الذكاء الإصطناعي، بالإضافة إلى إنشاء شبكات الإتصال ذات الجيل الخامس (5G) بشكل كامل من قبل

[1]Christian Fuchs, op. cit. p.٨٣

[٢]عبد الحليم حمود، مرجع سابق ص ١٩٠

شركة هواوي مثلاً ومن دون الإعتماد على شركات أجنبية، حيث في السابق وأثناء تطوير شبكات الجيل الرابع لم تبدِ الصين أيّاهتمام بأبحاث تطويرها[1]. للوهلة الأولى تُبيّن هذه التدابير على أنّها من حق حكومة الصين السيادية لحماية مؤسسات الدولة والشعب، ولكن كما سيتبيّن لاحقًا فإنّ السيطرة على هذه البنى التحتية من شأنه السيطرة على الشعب وضمان العمل السلس وغير المثير للإضطرابات.

ثانياً، الدعاية، وهي أهم أسس الأنظمة الشمولية للحفاظ على صورتها الجيدة ونشر أيديولوجيتها بين شعبها وأيضًا خارج حدودها لإضعاف معنويات العدو وغيرها، في السابق كما تبين أتقنت الدول إستخدام وسائل الإتصال للدعاية، وحاليًا الإتقان ما زال مستمرًا والإنترنت ومنصاّت التواصل الإجتماعي وسائل إتصالية ذات قوة كامنة أكبر بكثير في هذا الخصوص من سابقاتها. تقوم الدول حالياً بتوظيف آلاف الأشخاص لنشر التغريدات والمناشير الداعمة للنظام، مثلاً منذ العام ٢٠٠٤ تقوم حكومات المقاطعات في الصين بتوظيف إداريين وطلاب جامعات لنشر أخبار وقصص إيجابية حول الحكومة بهدف "تحقيق الإستقرار من خلال الأخبار الجيدة"، وهذه المجموعات تتمتع بتنظيم جيّد ومؤثر حيث تقوم السلطة بتحديد الأهداف ويسعى الجميع لتحقيقها[2]. الصين تمتلك قوة عاملة هائلة وباستطاعتها توظيف أعداد كبيرة من الأشخاص لنشر الدعاية، أمّا باقي الدول فتلجأ الى أساليب أخرى.

أحد أوجه التطور الحاصل في عالم التكنولوجيا والإنترنت هو اختراع شخصيات وهمية باستطاعتها القيام بعدد لا يحصى من الأمور وهي بالفعل مجرد حواسيب، أول مثال على ذلك كان الخصم في الألعاب الإلكترونية والذي يتصرف بحسب ما تمّ برمجته من قبل مهندسي اللعبة، يسمى هؤلاء أو "تلك الأشياء" بالبوت (Bots). فيما يخص موضوع الإنترنت والدعاية، تقوم بعض الدول ببرمجة الأشخاص الوهميين للقيام بما يفعله طلاب الجامعات في الصين، فينشرون بشكل متواصل وكثيف على سبيل المثال لصورة معينة، وبسبب طبيعة عمل المنصّات التي تهدف الى الربح وزيادة

---

[1] Adam Segal, "**When China Rules the Web**", Foreign Affairs, September/October 2018, 97, 5, pp. 10-11

[2] P.W Singer and Emerson T. Brooking, op. cit. p.100

النشاط الإلكتروني، عندما تلتمس نشاط كبير من قبل عدد المنشورات الكبير التي تتضمن تلك الصور فتقوم بتوصية باقي المستخدمين على رؤية هذه الصورة. طبعًا تتبّع الصين نفس الإستراتيجية لتوصيات المنشورات الإيجابية، والعكس صحيح قد تستعمل للتغطية على أحداث لا ترغب الأنظمة بانتشارها ووصولها لعدد كبير من مواطنيها. على سبيل المثال قام النظام السوري عند بدء الأحداث في سورية عام ٢٠١١ باستعمال "البوتس" في منصة تويتر للتغطية على "الهاشتغات"(#) المنتشرة والتي تتعلق بأخبار الثوار، فتقوم باستعمال الهاشتاغ نفسه لأخبار الرياضة أو صور لاتمت للموضوع بصلة، وهكذا من يبحث عن أخبار الثوار يصطدم باخبار أخرى وهكذا يتم التعتيم الإعلامي الحديث. وقد تقوم الدول تلك، عبر استراتيجية الصين أو سورية، بنشر أخبار غير صحيحة أو نظريات مؤامرة وتصبح منتشرة(trend) بشكل واسع بين المستخدمين، وقد أثبتت الدراسات أنّ الأخبار المنتشرة تكون ذات مصداقية وهميّة ويصدقها المستخدمون على أنها أخبار صحيحة[1]. وهكذا سمحت الإنترنت بتبيان الحقائق للجميع ولكن في نفس الوقت غَرُقت هذه الحقائق في بحر من الأكاذيب وأصبح من الصعب إيجادها أو معرفتها.

ثالثاً تقوم الدول الشمولية بقمع حريات التعبير التي يمارسها المستخدمون على الإنترنت ومنصّات التواصل الإجتماعي. عند ظهور الإنترنت حاولت الدول المستبدة والقامعة للحريات بحجب بعض مواقع الإنترنت أو إطفاء وإلغاء الخدمات المعلوماتية بشكل كامل، مثل ما حدث أثناء ثورة ٢٥ يناير في مصر عام ٢٠١١، ولكن هذه الطريقة أثبتت فشلها لأنّها سوف تؤدّي إما إلى زيادة الغضب الشعبي أو إستمرار الإحتجاجات بشكل أكبر قبل الحجب. لذلك استغنت تلك الدول عن هذا التكتيك القمعي ولجأت إلى متابعة جميع الأحاديث الحاصلة بين المستخدمين على الإنترنت والمنصات، وبالتالي كل من يتحدث وينشر معلومات وتعتبرها السلطة غير قانونية (وهنا كل دولة تفسر أو تضع القوانين الخاصة بها وتجرّم الأحاديث التي قد تراها مثلاً مخلة بالأمن القومي) تقوم باستدعائهم ومحاكمتهم وتختلف العقوبة أيضًا بين الدول التي قد تصل في بعضها الى السجن لثمانية أعوام. على سبيل المثال ما يحدث في لبنان قبل وبعد أحتجاجات ١٧ تشرين حيث كل من يقوم بنشر تغريدات وغيرها يستهدف فيها النواب أو الوزراء أو الرؤساء أو بتعبير آخر رجال السلطة

[1] P.W Singer and Emerson T. Brooking, op. cit. p.١٤١-137

في لبنان، تقوم القوى الأمنية بتوقيفه بحجة تطبيق قانون القدح والذم، ولكن هي بالفعل قمع لحرية التعبير. يطلق علماء التواصل على استمرارية القمع تلك تعبير" دوامة الصمت"، " spiral of silence"، حيث يقوم البشر بمطابقة معتقداتهم مع باقي أفراد المجتمع، وعندما يتم قمع العديد من الأصوات في هذا المجتمع تصبح المعتقدات أو الأراء ضمن فئة معينة موالية للسلطة أقله في الظاهر، وهكذا يصبح القمع ذاتيًا، وينتقل الحديث من الظاهر الى المنصات المشفّرة والخفية على مؤسسات السلطة القامعة.[١]

كلّ هذه الأساليب السابقة القمعية مورست من قبل ويتمّ إستعمال أحدث الوسائل الإتصالية لممارستها من جديد، أمّا رابعًا وأخيرًا فهي طريقة مبتكرة تلائم الحداثة وطريقة عمل الإنترنت والمنصّات، ألا وهي السيطرة على تصرفات الشعوب. الصين هي السباقة في هذا الأمر وتسعى العديد من الدول كتايلاند وفيتنام الى استيراد هذه الطريقة، وهي عبارة عن تطبيق هاتفي صيني اسمه "وي تشات" (WeChat) وهو عبارة عن منصّة تواصل إجتماعية وفي نفس الوقت سوق الكتروني للسلع والخدمات، وبإمكان المستخدمين التحكم بحساباتهم المصرفية عبره، وبالتالي لا يمكن للمواطن الصيني العيش بالمدن من دون استخدام هذا التطبيق. ولقد أضافت الحكومة الصينية برنامج مكافئات إجتماعية على التطبيق، فمن يتبين أنه يشتري أغراض للأطفال بشكل دوري كالحليب فهذا يعني أنه أنجب طفل وهو بالتالي ناشطًا اجتماعيًا ويتم مكافأته بعدد نقاط معينة، أمّا الذي يقوم بشراء خدمات تتعلق بألعاب الكترونية فهذا يعني أنه بليد ولا يخدم مجتمعه،أو يقوم بنشر أخبار ومعلومات لا ترغب بها السلطة، فينال نقاط سلبية. إلى الآن هذا لا يؤثر على حياة المواطن الصيني، فالعلامات موجودة على الهاتف وخاصة بالمستخدم، ولكن بدأت بعض الشركات بالطلب من الموظفين الجدد بالتصريح عن العلامات التي نالوها وبالتالي أصبحت تصرفات الناس تؤثر في مستقبلهم.[٢] كما يتم وضع عدد كبير من الكاميرات في كل زاوية وهي ذات ميزات متطورة من معرفة الوجوه وسماع الأصوات، مما يسمح للدول بمتابعة تحركات الجميع، وهذا الأمر وإن كان جيدًا لناحية متابعة المجرمين وتوقيفهم، إلا أنها قد تُستخدم لغايات القمع وربطها بالمنصّات لجمع أكبر

[1] P.W Singer and Emerson T. Brooking, op. cit. p.٩٥

[2]Ibid. pp. 101-102

كمية من الداتا وتحليلها لتحقيق أهداف الأنظمة القمعية، "فمن يملك المعلومات أو الداتا يملك القوة"[1].

أحد طرق الحكام المستبدون نشر الأكاذيبالتي تساعدهم على تغطية أفعالهم وغيرها من الأمور، ولكن هذه الأكاذيب والمعلومات المضللة ونظريات المؤامرة والتي تلقى رواجًا كبيرًا على الإنترنت ومنصّات التواصل الإجتماعي لديها تأثير آخر على الشعوب ألا وهو انتشار الراديكالية والتطرف والتّعصب الذي يؤدي بدوره الى العنف.

الفرع الثالث: التطرف

ورد سابقًاعند البحث في الوسائل الإتصالية القديمة أن هناك نوعين من الرأي العام حسب معيار التأثير: الأول عبارة عن المعتقدات التي نواتها الدين والعقيدة والعادات والتقاليد، هذا النوع من الصعب على الإعلام التأثير فيه وتغييره، أما النوع الثاني فهو سطحي يمتد من الإنتماءات الحزبية والسياسية، وهنا يكمن هدف الإعلام، أمّا اليوم فإن الإنترنت ومنصات التواصل الإجتماعي لا تؤثر على المعتقدات "الأساسية" تلك فحسب بل تجعلها متطرفة وتضخمها.

المطلب الأول: الأشكال الحديثة للتطرف وأسبابه

شهد عصر الوسائل الإتصالية الحديثة من إنترنت ومنصات للتواصل الإجتماعي ظهور دولة متطرفة فكيف الحال لظاهرة عالمية إلّا وهي التطرف. الدولة تلك هي الدولة الإسلامية في العراق والشام أو داعش، شعب تلك الدولة هم مجموعة من الأشخاص الذين حضروا من جميع أنحاء العالم الى منطقة الشام والعراق بالإضافة الى السكان الأصليين، وتمييزوا بتطرفهم وتبنيهم للدين الإسلامي بطريقة متشددة. من جاء من حول الكوكب ليلتحق بصفوف "المجاهدين" كان قد تأثر بالدعاية التي قامت بها الدولة حيث ورد في دليل الدعاية لداعش:" أسلحة الإعلام من الممكن أن تكون أقوى من

[1]Robert O. Keohane, Joseph S.Nye, "**Power and Interdependence**", Longman, 4th Edition, Boston, 2012, p 248

أسلحة الدمار الشامل"[1]، لذا أتقنت الأخيرة إستعمال الإعلام للدعاية وخاصة وبشكل شبه كامل الوسائل الإتصالية والإعلامية الجديدة.

كما تمّ استخدام الإنترنت وتويتر لنشر أفعال المقاتلين ومعاركهم، ففي العام ٢٠١٤ انتشر على منصّة تويتر هاشتاغ #AllEyesOnISIS للدلالةعلى احتلال المقاتلين لشمال العراق وخاصة مدينة الموصل التي كان في حمايتها ٢٥٠٠٠ عنصر من الجيش، ولكن في الحقيقة هذا الرقم كان فقط على السجلات فمعظهم من ترك خدمته بسبب الحرب وقلة البدل المادي، ومن بقي وشاهد مقاطع الفيديو التي تنشرها داعش والهاشتاغ المنتشر الذي ينبّئ بقدومهم هرب من "المصير المحتم". وهكذا بدل استعمال ألف باء الحروب التقليدية بالحرص التام على سرية الهجمات والعمليات للبقاء على عنصر المفاجئة، استخدمت داعش العكس بشكل تام، وسقطت الموصل في غضون أيام عكس كل التوقعات. لتفسير ما حصل شبه المؤخرون المعركة باحتلال النازيون لفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية، فخط "ماجينو" الفرنسي هو عبارة عن دفاعات على الحدود بين البلدين اعتبرت لا تقهر وتمّ التخطيط لبنائها مدة عشرون عامًا منذ انتهاء آخر الحروب بينهم، ولكن تمّ الإحتلال بشكل سريع عبر الغابات وليس عبر الخط ذلك، وما ساعد المحتلون هو سرعة آلياتهم ودباباتهم والراديو، وهو اختراع جديد أتقن استعماله النازيون[2]، وبشكل مشابه أتقنت داعش إستعمال الوسيلة الإتصالية الجديدة، الجدير بالذكر هنا هو أنّ الجميع باستطاعته تطبيق استراتيجية داعش الإتصالية وتحقيق نفس الأهداف، أبرز مثال على هؤلاء هم المتطرفون البيض والأصولية المسيحية حول العالم.

[1] P.W Singer and Emerson T. Brooking, op. cit. p. ١٤٨

[2] Ibid., p. ٨-٧

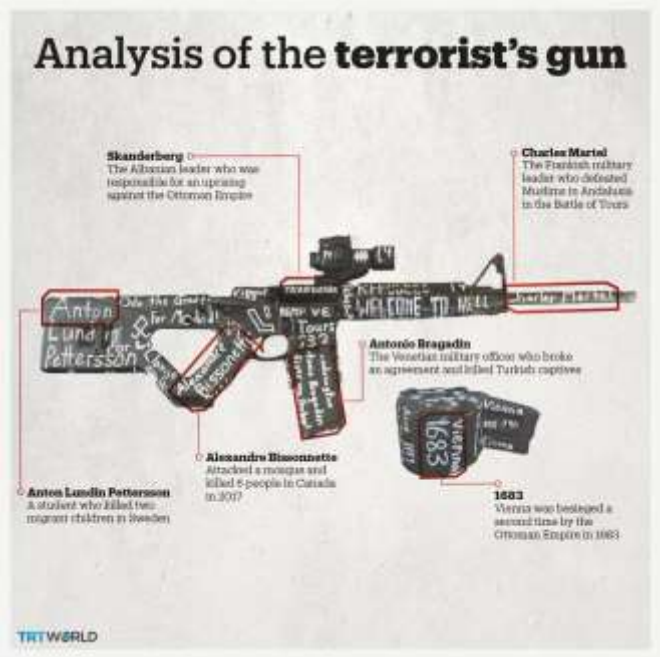

صورة رقم٤ سلاح منفذ المجزرة في نيوزلندا*

بدأت أحداث العنف النابعة عن التطرف الديني المسيحي أو العرقي الأبيض في أواخر القرن العشرين ابتداءً من تفجير الأميركي اليميني المتطرف تيموثي مكفاي شاحنة مفخخة أمام مبنى أوكلاهوما سيتي الفيديرالي عام ١٩٩٥، والذي شبّهه هاغاي سيغال/ الخبير الأمني في جامعة نيويورك بهجومي أوسلو عام ٢٠١١[١]، وصولاً الى مجزرة كرايست تشيرش في نيوزلندا عام ٢٠١٩ والتي ذهب ضحيتها ٥٠ من المصلين في المسجد على يد متطرف كتب على سلاحه أحداث ومعارك ترمز إلى التفوق على العثمانيين وأسماء إرهابيين نفذوا هجمات ضد المسلمين والمساجد، وبالتّالي المجرم لديه الرهبة من المسلمين أو الإسلاموفوبيا(Islamophobia) والتي دفعته للقيام بجريمة مروعة شبيهة بجرائم داعش، والملفت أنّه سجل وعرض جريمته بشكل مباشر ليتابعه الأصدقاء على منصة فايسبوك، حيث تخطى هذا الفيديو أصدقائه ليحصد ١.٥ مليون مشاهدة. القاسم المشترك بين هذه الأحداث هو تزامن حدوثها مع اختراع الإنترنت وازديادها مع دخول منصات التواصل الإجتماعي على الشبكة. فما هي أسباب التعصب وبالتّالي العنف وما دور الوسائل الإتصالية الحديثة بزيادتها وانتشارها؟

التعصّب لغة بمعنى الإنتماء الى العصبة، يعني التجمّع الذي يشدّ الفرد إلى الجماعة في روابط مادية ومعنوية. والعصبية نسبة الى العصبة، هي جماعة الأقارب المرتبطين ببعض والمتلازمين

---

[١] "**الأصولية المسيحية... التهديد الجديد لأوروبا؟**"، النهار، ٢٠١١/٧/٢٤, نقلاً عن بادية حيدر، "**الأصولية المسيحية في العالم**"، شركة السفيرش.م.ل، العدد الرابع بعد المئة، ٢٠١٢ ، ص ٧٧

* "**The Islamophobic signs that defined the Christchurch terrorist**", TRT World, 2019, https://www.trtworld.com/asia/the-islamophobic-signs-that-defined-the-christchurch-terrorist-24982, تاريخ الدخول: ٢٠٢١/٨/٢٤

ببعض[1]. أبرز من تحدّث عن العصبية وأقدمهم هو ابن خلدون الذي ربط هذا الموضوع بالقبائل في شمال إفريقيا، "فالقبيلة لا تستطيع بالفعل الإستيلاء على دولة، ثم الإحتفاظ بها إلا إذا كانت تتمتع بخصائص اجتماعية وسياسية" وهذه الخصائص هي "العصبية". أحد المفسرين لهذا المصطلح أعطاه معنى "التعصب القبلي"، الذي يسبب استمرار الظاهرة القبلية والتقلب السياسي. يقول ابن خلدون في هذا الصدد:" إنّ الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة... والسبب في ذلك اختلاف الآراء والأهواء، وإنّ وراء كل رأي منها وهوى عصبية تمانع دونها،...لأنّ كل عصبية ..تظن نفسها منعة وقوة."[2]يربط ابن خلدون هنا الأراء والأهواء بالعصبية والتعصب القبلي ولعل ما يحدث اليوم هو عودة للقبلية والتجمعات البشرية الجديدة الناتجة عن استخدام البشر لمنصات التواصل الإجتماعي، وتشبث أفراد المجموعات بأرائهم، حيث يرى أديب إسحاق أن "حد التعصب هو غلو المرء في اعتقاد الصحة بما يراه، وإغراقه في استنكار ما يكون ضد ذلك الرأي، حتى يحمله الإغراق في الغلو على إقتياد الناس لرأيه بقوة...ذهابًا مع الهوى في ادعاء الكمال لنفسه وإثبات النقص لمخالفيه من سائر الخلق"[3]، "ويفتح الباب على العنف وسفك الدماء"[4]، وهكذا يتحول التعصب إلى عنف كما حدث في الأمثلة المذكورة أعلاه.

تنقسم أسباب التعصب إلى ثلاث محاور أساسية:

أولاً، ينشأ التعصب جراء إنفعالات شخصية ونفسية ناتجة عن ضغوط إجتماعية، من هذه الإنفعالات: ميكانيزمات الدفاع، الإسقاط، الإحباط، كبش الفداء، وأشدها العدوان والعنف. لتوضيح الأمر يقوم بعض الأشخاص المتعصبون مثلاً بالقيام باعتداء ناجم عن الإحباط الإجتماعي المزمن على الأقليات باعتبارهم كبش الفداء. هذا المحور يعطي تفسيرًا منطقيًا لأحداث تاريخية هامة وشاذة مثل صعود النازية وانتشار معاداة السامية في إلمانيا، "وينسب ذلك الى إزاحة العداء الناتج عن

---

[1]مصطفى حجازي، مرجع سابق، ص ١٠٠-١٠١

[2]ابن خلدون، "**المقدمة**"، ص٢٩٠-٢٩١، نقلاً عن إيف لاكوست، "**العلامة ابن خلدون**"، ترجمة الدكتور ميشال سليمان، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٧، ص ١٩٨-٢٠٣-٢٠٧

[3]مصطفى حجازي، مرجع سابق ص ١١١-١١٢

[4]P.W Singer and Emerson T. Brooking, op. cit. p. ١٧١

الإزدراء السياسي والإحباط الإقتصادي للمواطنين الألمان بعد الحرب العالمية الأولى"، حيث تم القاء اللوم على اليهود(الضحية) باعتبارهم أساس المشكلة، "فإسناد اللوم الى الضحية ينشأ مباشرة عن دوافع الذين يستفيدون من عدم المساواة الإجتماعية".[١]

ثانياً، سبب التعصب هو إستعداد شخصي بحت ناتج عن بناء الشخصية القابلة والمستعدة للقيام بالأفعال التعصبية، "على ذلك يمثل التعصب تعبيرًا عن حاجة داخلية تنتج عن بناء مرضي للشخصية، ويميل ذوو الشخصيات من هذا النوع الى الإستعداد والقابلية للتعصب"، من الأمثلة التي قد تفسر ذلك هي المذابح التي قام بها بعض الضباط النازيون والتي من المستحيل أن تصدر عن أشخاص طبيعيون، ولكن في نفس الوقت "المستويات العالية من التعصب العنصري في جنوب إفريقيا وجنوب الولايات المتحدة الأميريكية لا ترجع الى أنّ الشخص هناك يتميز بزيادة درجة التسلطية، ففي هذه الأماكن نجد المجتمع كله عنصري، وهكذا يكون المواطن الصالح أيضاً".[٢]

ثالثاً، ينتج التعصب جراء الإلتقاء والتواصل بين الجماعات، فمجرد الوعي بوجود جماعة أخرى فهذا يكفي لحدوث المنافسة والتمييز لصالح جماعة الفرد المتعصب، وهذا "يفسر لماذا كان كلّ من التعصب والتمييز ظواهر إجتماعية منتشرة وعالمية صعبة المراس"، وفي حال كانت الجماعات ذات مكانات متباينة كأقلية وأكثرية، أو عند وجود عدم مساواة بينهم كنيل إحداها حصة أكبر من الدخل القومي مثلاً، عندها ينتج ميل قوي للتعصب ضد الجماعة الأدنى في المرتبة.

المطلب الثاني: إنتقال التعصب عبر المنصّات وتضخيمه

المحاور المذكورة أعلاه تحدد كيف يكتسب أعضاء الجماعات المتصارعة تعصبًا مشتركًا فيما بينهم، ولكن هناك طرق لانتقال السمات التعصبية في الجماعية إلى أفرادها على شكل معتقدات واتجاهات، هذه الطرق منها التقليديكالتنشئة والإنصياع والإتصال الشخصي(البسيط)، وهناك طرق حديثة أنتجتها وسائل الإتصال المعلوماتية وهي امتداد للطرق التقليدية.

---

[١] جون دكت، "**علم النفس الإجتماعي والتعصب**"، تعريب عبد الحميد صفوت ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٣٩-٢٥٠

[٢] المرجع نفسه، ص١٤٠-١٤٢-١٤٣

أول الطرق في انتقال التعصب هي التنشئة الإجتماعية التي يتلقاها الأطفال بداية في المنزل ومن بعدها المدرسة، فالعالم الذي يمتصه الطفل هو "تجميع لخبرات إدراك الناس والأشياء والحوادث، هذه الخبرات التي تميّز بين الناس"[1]. على سبيل المثال أسرد تجربة شخصية حدثت عندما كنت صغيرًا في السنّ حيث عرض عليّ أحد أصدقائي صورة لزعيم لبناني فكانت ردة فعلي مزدرئة ومشمئزة وأنا في عمر لا يعرف من هذا الزعيم ولا أدري أفعاله أو أي شيء سوى ما رأيته وسمعته من والدي ورأيه المتعصب حوله.

ثاني طريقة هي الإنصياع أو الضغط الإجتماعي الممارس من قبل باقي أفراد الجماعة على الفرد، بحيث إذا قام هذا الأخير بأفعال لا تتناسب مع التقاليد والمعتقدات وباقي المسلمات، فإنه يتعرض للتوبيخ والإهانة وحتى الطرد من الجماعة، حيث وجدت بعض الدراسات أن الأشخاص الذين ينتقلون إلى نيويورك يصبحون أكثر حدة في معاداة السامية، حيث يعود ذلك الى التعرض لمعايير معاداة السامية في هذه المدينة[2]. وهنا لا بد من الإشارة الى المجتمعات الرقمية الحديثة النشأة على منصّات التواصل الإجتماعي، فالفرد إذا انتقل الى مجتمع جديد أو حتى في مجتمعه يتشرب التعصب جراء الإنصياع، وبالتالي الإحتكاك بالمجتمعات الرقمية التعصبية سوف يؤدي الى انصياع المستخدمون الذين يلتقون افتراضيًا بأفراد هذه المجتمعات.

[1] جون دكت، مرجع سابق، ص ٢٢٢-١٤٧-٢٠٦

[2] المرجع نفسه، ص ٢٣٨

ثالثاً، الإنتقال يتم عندما يتصل الأشخاص ببعضهم البعض وهي حالة شبيهة باتصال الجماعات المذكور سابقاً، فالأبحاث الأولية تشير إلى أن الإتصال يفترض أن يقلل من التعصب، ولكن عند وجود بعض الظروف كمكانات غير متساوية بين المتصلين، تؤدّي العملية إلى زيادة أو دعم التعصب. ويكمن بالتالي النظر الى الإتصال الشخصي فيما بين الجماعات باعتباره متغيرًا وسيطًا ينقل إلى الأفراد تأثيرات البناء الإجتماعي على الإتجاهات تعصبية كانت أم معتدلة، الجدول المقابل يلّخص هذا الأمر ويبين "كيف يؤدّي الإتصال بين الجماعة على المستوى الأكبر إلى تحديد فرص الأفراد في الإتصال وظروف الإتصال الشخصي بما يؤدّي إمّا إلى تسهيل ظهور التعصب أو إلى قمعه"[1]. وإذا ما تمّ إسقاط هذه الطريقة على منصّات التواصل لتبين أنّها متطابقة بنسبة كبيرة مع المجموعة اليمنى أيّ الإتصال الذي يؤدّي الى التّعصب.

الجماعات: **تفرقة بين الجماعات** **لها مصالح متصارعة** **الحدود واضحة بين الجماعات بصورة حادة** **معاملة متباينة بين الجماعات** **لكل جماعة أدوارها ومراكزها** **الأفراد:** **يمكنهم تجنب الإتصال بسهولة، وإذا تم ذلك** **يكون بصورة غير محببة كما يستضح هنا:** **ظروف الأتصال الشخصي:** **بين أشخاص من مراكز اجتماعية مختلفة** **يكون بمعارضة الجماعة أو المؤسسة** **تنافسي** **يعكس مصالح وقيما متصارعة** **غير سار، متوتر، محبط** **يؤكد الصورة النمطية السلبية** **سطحي وله سبب** **الإتصال يؤدي** **الى زيادة التعصب**	**تكامل بين الجماعات** **ذات مصالح متكاملة** **الحدود بين الجماعات متقاطعة مع بعضها** **نفس المعاملة لجميع الماعات** **لا تختص كل جماعة بمميزات خاصة** **لديهم فرص منعددة للإتصال، وحينما يتم** **الإتصال يكون بصورة محببة كما سيلي:** **بين أشخاص ذوي نفس المكانة** **يكون بمساندة الجماعة أو المؤسسة** **تعاوني** **يعكس مصالح وقيم متشابهة** **سار، مفيد** **لا يؤكد الصور النمطية السلبية** **عميق** **الى تخفيض التعصب**
جدول رقم ١	

إضافة الى انتقال التعصب من الجماعات إلى الأفراد، إنّ وسائل التّواصل الإجتماعي بطريقة عملها تؤدّي إلى نشوء ونمو وزيادة التّعصب وذلك بسبب طبيعتها التوسعيّة الهادفة إلى الربح. في السابق كانت الجماعات المتطرفة تنشأ ولكن يشترط أن تتواصل مع بعضها بشكل شخصي وسري وفي حيّز جغرافي متقارب، اليوم تقوم الإنترنت بتغيير الشروط حيث أصبح من السهل تشكيل هذا

[1] جون دكت، مرجع سابق، ص ٢٤٣

الجماعات وإيجادها والتواصل بين المفكرين بنفس الطريقة ويتم ذلكبين القارات ولم تعد محصورة ببعض الأحياء والمدن.وبعد الإجتماع والنشأة يبدأ النمو والتوسع.

عندما يلجأ المتعصبون لنشر أفكارهم المتطرفة بطريقة كثيفة ومتكررة ستكافئهم الخوارزميات وتنشر أفكارهم ففي نهاية المطاف البرامج مبرمج لزيادة الربح ولا يهمها المضمون. بالعودة لتقسيم فوش للأيديولوجيات، هناك أيديولجيات على الإنترنت، وهي التقليدية القديمة التي تتحدث الى مشاعر المستخدمين فقط، على سبيل المثال انزعاج مستخدم أوروبي من الهجرة يتلقى دعاية مطابقة لأراءه وتخاطب القلب وليس العقل، وبالتالي تتلقى نشاط كبير على المنصّات، وهكذا "هناك ميول لإنتشار وتضخيم الأيديولوجيات المتطرفة والمتعصبة والعرقية.. عليها"[1]. وبنفس الطريقة التي أدّت إلى تقسيم المجتمعات بسبب طريقة إظهار أخبار أصدقاء المستخدمين الذين يملكون نفس الآراء، ستصبح هكذا صفحات المتطرف؛ وبسبب نشاطه الذي يبين ذلك، ستكون مليئة بأشخاص وأخبار شبيهم بمعتقداته وتصبح صفحته كغرفة الصدى(echo chamber) التي لا يسمع فيها إلّا صوته، وهو تشبيه بأنّه لن يسمع الرأي الآخر.

وأخيرًا لا بدّ من التطرق إلى الأرضية الخصبة التي تنتج التعصب في المجتمعات والأفراد، فلولا القهر والقمع والفساد لما قامت الثورات العربية ولما كان هناك أي دور لمنصات التواصل الإجتماعي فيها، وكذلك الأمر بالنسبة للتعصب حيث يؤدّي عدم المساواة بالتعامل أو الدخل أو أي شيء آخر بين الأشخاص في دولة واحدة أو عدة دول الى إستعداد نفسي لدى هؤلاء للتعصب، والأمثلة عديدة أبرزها هجرة السوريين الى أوروبا التي أدّت إلى صعود اليمين المتطرف في أكثر من دولة أوروبية وذلك بسبب التخوف الديمغرافي والخوف من سيطرة المهاجرين على فرص العمل. إضافة الى ذلك الخوف فإن من تأثيرات منصّات التواصل الشخصية إزدياد القلق والإحباط والإكتئاب، وهي أمور تؤدّي إلى التعصب، لذلك من الممكن اعتبار منصّات التواصل الإجتماعي محرك نفّاث يتغذى من نفسه ومن الوقود(الأرض الخصبة) وينتج التعصب.

[1]Christian Fuchs, op. cit. p.٨٥

الفرع الرابع: الإنتخابات – الولايات المتحدة الأميريكية نموذجًا

تحدّد معظم دساتير دول العالم وقوانين الإنتخابات فيها حجم الإنفاق الإنتخابي الذي يجب إلّا يتخطاه المرشحون وإلا قد يتعرضواللإقصاء وحرمانهم من تكملة مسيرتهم الإنتخابية، هذه السقوف الإنفاقية تهدف إلى تحقيق نوع من المساواة بين المرشحين وضمان عدم أفضلية أولئك الأغنياء والمدعومين من أصحاب النفود على من لا نصيب له من ذلك. أيضًا الدول المتقدمة ديمقراطيًا تشترط على شاشات التلفزة أنّ تخصص مساحات على الهواء بشكل متساوٍ لجميع المرشحين، وهذا لإيصال الرأي والرأي الآخر. ولكن كما قلب الإنترنت وبعده منصّات التواصل الإجتماعي عالم السياسة والإجتماع رأسًا على عقب، فهو أثّر على العملية الديمقراطية الأهم أيّ الإنتخابات. لفهم هذا التأثير سوف يتم أخذ أمثلة من إنتخابات ٢٠١٦ الرئاسية المثيرة للجدل في الولايات المتحدة الأميريكية.

المطلب الأول: إستغلال خصوصيات المستخدمين

كما تبين سابقًا، استخدام مئات الملايين من المستخدمين للإنترنت ومنصّات التواصل الإجتماعي ينتج كمية كبيرة من الداتا حول المعلومات الشخصيّة عنهموهو إذا اعتبر سلعة يقدّر أنّه تخطى بأهميته قيمة النفط، وكما للنفط أثاره السياسية فلتلك المعلومات أثارها أيضًا وخاصة على شخص السياسيين، فدونالد ترامب رئيس الولايات المتحدة السابق وأول من استخدم منصّة تويتر بالشكل الكثيف الذي يتميّز به، لم تتعدَ سنوات استخدامه لها العشر سنوات، ولكن اليوم يقوم المستخدم منذ الصغر بتصفح الإنترنت والمنصّات وتقوم الأخيرة بجمع المعلومات عنه، وفي حال وصوله في يوم من الأيام إلى موقع السلطة، فإن نشاطه السابق سوف يؤثّر على مستقبله. يقول باراك أوباما أنه "لو لديكم الصور الخاصة بي ولِما كنت أقوم به في الثانوية والجامعة، كان من الممكن ألا أكون رئيسًا للولايات المتحدة".[1]هذا إن دل على شيء فهو أن المعلومات الشخصية الموجودة على الإنترنت للمرشحين سوف تؤثر على نتيجة الإنتخابات، ولكن في عصر الداتا الكبيرة والتلاعب بها، الناخبون هم من سيتمّ التحكم بهم وبالتالي التأثير على النتائج.

[1]P.W Singer and Emerson T. Brooking, op. cit., p. ٦١

هذه الداتا العملاقة تفتح نافذة واضحة على حالة المستخدمين النفسية والعصبية، وتكمن المشكلة عندما يتم استثمارها والتلاعب بمشاعر المستخدمين عبر تحليلها واستخدامها ضدهم. وإذا كانت هناك شركات مثل "PreData" تقوم بتحليل المعلومات المتاحة على الشبكة بشكل مفتوح بعملية تعرف بـ (OSINT.Open Source Intelligence) وتصدر التوقعات عن الأحداث السياسية التي من الممكن حدوثها، فإن تحليل البيانات الشخصية للمستخدمين التي يفترض أنها غير متاحة على الشبكة وسرية تمكن من يصل اليها أن يتنبأ بتصرفات الأشخاص وحتى تغيير سلوكهم. وهذا ما حصل في انتخابات ٢٠١٦ للرئاسة الأميريكية.

حملة ترامب انتهجت سلوكًا مغايرًا عن باقي حملات الإنتخابات الرئاسية في تاريخ الولايات المتحدة، فبدل استعمال التلفاز والمكاتب الميدانية تمّ استخدام منصذات التواصل الإجتماعية إلى أقصى الحدود، وبطريقة مختلفة عن خلفه أوباما الذي في العام ٢٠٠٨ "استخدمت حملته الشبكات الإجتماعية بشكل أذهل المتابعين، وقال كثيرون بأنّ هذا الإستخدام كان السبب الرئيسي في فوزه الساحق"[١] واعتبرت أول حملة تستخدم المنصّات لهذا السبب.أما رئيس حملةترامب الإلكترونية براد بارسكال، وهو مطوّر مواقع الكترونية، فقد قام بشراء كل الأماكن المتاحة للإعلانات على موقع يوتيوب بسعر غير مسبوق تاريخيًّا[٢] وقدّر بمليون دولار يوميًا على موقع فايسبوك[٣] وتمّ استهداف أشخاص في أماكن نائية لم يكن في السابق من يشتري الإعلانات لتعرض عندهم على التلفاز.

كما قام فريق الحملة المؤلف من ١٠٠ شخص بتجميع معلومات الناخبين من ثلاث مصادر وهي المتبرعين لترامب ومن اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري التي تقدّر أنها تستحوذ على ٨ ترليونات معلومة عن ٢٠٠ مليون ناخب أميريكي، ومن شركة بريطانيا تسمى كامبريدج أنالتيكا (Cambridge Analytica) المتهمة أيضاً بالتدخل في استفتاء إنفصال بريطانيا عن الإتحاد الأوروبي Brexit وستيف بانون رئيس حملة ترامب من مؤسسيها، هذه الشركة لديها ٥٠٠٠ معلومة

---

[١] نديم منصوري، مرجع سابق ص ١٦٤

[2] P.W Singer and Emerson T. Brooking, op. cit., p. ١٧٧

[3] "**The Great Hack**", Karim Amer, Jehane Noujaim, The Othrs, Netflix, 2019, تاريخ الدخول: ٢٠٢١/٨/٢٧https://www.netflix.com/lb-en/title/80117542,

عن ٢٢٠ مليون أميريكي مجموعة من كافة مواقع فايسبوك[١]. بعد تحليل المعلومات بدأ الفريق باستهداف الناخبين بإعلانات متنوعة، وراقبت ردّة فعلهم وذلك بهدف معرفة الإعلان الأكثر تأثيرًا ليصار إلى إستخدامه بدل غيره. أمّا المستهدفين بالإعلانات هم كما أثبتت الدراسات والإحصاءات لاحقًا الأكثر تأثرًا بالأحكام المسبقة الجنسية والعرقية، حيث كان محتوى الإعلان صور لإرهابين ويكتب تحتهم أنّهم قادمون في حال بقيت سياسات الهجرة كما هي، ولأنّ ترامب ضد الهجرة تلك وهؤلاء الأشخاص يميلون نحو العرقية (يعلم فريق الحملة هذا الميول بسبب الداتا التي يملكها) فبالتالي ستكون أصواتهم للحزب الجمهوري ومرشحهم ترامب.

هناك طريقة أخرى للإستهداف وهي مكملة للأولى حيث يتم استهداف الولايات المتأرجحة. في الإنتخابات الرئاسية الأميريكية، يقوم مجمع الناخبين بانتخاب الرئيس وليس الناخبون بشكل مباشر، أصوات المجمع الإنتخابي موزعة بنسبة صوتين لكل ولاية مهما كان عدد سكانها وبالتّالي لا تمثل الناخبين بشكل متساوٍ، ممّا يؤدي إلى إعطاء قوة أكبر للناخبين القلة الموجودين في الأماكن النائية. هذه الطريقة أدّت إلى خسارة هيلاري كلينتون بفارق ٨٠٠٠٠ صوت في أحد الولايات المتأرجحة[٢]، والملفت أن الإعلانات المذكورة أعلاه إستهدفت هؤلاء[٣]. هكذا تمّ التّلاعب نفسيًا بالناخبين دون علمهم أو قبولهم في أكبر عملية ديمقراطية في العالم، وتمّ تغيير نتيجة الإنتخابات. والمؤسف أن الشركات المذكورة أعلاه تدخلت في أكثر من عملية إنتخابية حول العالم وفي دراسة لجامعة أوكسفورد وجدت أن ٤٨ نظام استخدم هذه الطرق في التأثير على شعوبهم[٤].

---

[1]"**The Great Hack**"op.cit. and P.W Singer and Emerson T. Brooking, op. cit. p. ١٧٧

[2] Daniel C. Hellinger, "**Conspiracies and Conspiracy Theories in the Age of Trump**", Palgrave Macmillan, Missoury, 2019, p.١١٨ ١٠٦

[3]"**The Great Hack**", op. cit.

[4]P.W Singer and Emerson T. Brooking, op. cit. p. ١٧٧

المطلب الثاني: إستغلال قوة المنصّات

هذا بالنسبة إلى فريق حملة، أمّا ترامب شخصًا فقد أتقن استخدام الوسائل الجيّدة وخاصة منصّة تويتر، فتميز بتغريداته المثيرة للجدل والكثيفة يوميًا بمعدل خمسة تغريدات في اليوم الواحد، وهو بذلك كسب قلوب الناخبين بسبب فكرة بسيطة وهي أنّه يخاطبهم مباشرةً بطريقةغير مألوفة سابقًا، في المقابل منافسته كلينتون كان لديها فريق من ١٢ شخصًا يقومون بالتغريد عنها. لقد استحوذ ترامب على قوة المنصّات بشكل كامل، فعدد متابعيه على تويتر تخطى أعداد متابعين جميع منافسيه في الحزب الجمهوري مجتمعين، ولم يستطع أحد الوصول إلى هذه القوة حيث قدرت قيمة التغطية الإعلامية المجانية التي يحصل عليها جراء تغريداته بخمسة مليارات دولار، ضعف القيمة التي قدرت لكلينتون. في مقابلة أجراها ترامب بعد فوزه في الإنتخابات قال :" أظن أن منصّات التواصل الإجتماعي لديها قوة أكبر من قوة الأموال التي أنفقوها (الأموال المنفقة في حملة كلينتون)، وأظن أنني... أثبَتُ ذلك."

من الأشياء التي ساعدت ترامب على الوصول لهذا العدد من المتابعين والتأثير القوي على تويتر هي "البوتات" (Bots) الشبيهة بتلك التي استعملها النظام السوري في بدايات الحرب. هذه الحسابات الإلكترونية هي كجيوش المرتزقة التي يستفيد من خدماتها من يدفع أكثر، وفي إنتخابات ٢٠١٦ وجد الباحثون حوالي ٤٠٠٠٠٠ حساب الكتروني "بوت" يحاربون من أجل مرشحيهم وبنسبة ثلثين لصالح ترامب. تقوم تلك الحسابات بكتابة تغريدات مؤيدة للمرشحين أو بمهاجمة المرشح المنافس، الجدير بالذكر هنا هو أن ترامب نفسه أعاد تغريد ما يقارب ١٥٠ تغريدة لتلك الحسابات ما يدعوا للريبة لأنّها شبيهة جدًا بحسابات مستخدمين حقيقيين.[١] وكما تمّ الشرح سابقًا فإن هذا النشاط الذي تقوم به تلك الحسابات يدفع البرامج المشغلة "لتكريمه" ومساعدته على الإنتشار أكثر وذلك لزيادة النشاط أكثر وبالتالي زيادة الأرباح، فمهما ادّعت أنّها منصّات تهدف إلى تقريب الناس من بعضهم وإعطائهم حرية الكلام، فإنّ هدفهم الأكبر يبقى زيادة الأرباح والتوسع، لأنّ هناك مالكي

[1]P.W Singer and Emerson T. Brooking, op. cit. , p. ١٧٤-١٧٣-١٦٩-١٦٨-142-143

أسهم لهذه الشركات في أسواق المال وهم يراقبونهم يوميًا، وعند شعورهم بأنّ الأرباح انخفضت سيلجأون مباشرة لبيع أسهمهم ما يسبّب كارثة مالية للمنصّات.

ما يؤكد على ذلك هو تدخل موقع فايسبوك وإدارته بتفاصيل لم يتدخل بها من قبل وذلك من العام ٢٠١٧ حتى اليوم، هذا إن دلّ على شيء فهو جرس الإنذار الذي قرع بعد إنتخابات ٢٠١٦ ووجهت فيه التهم الى الموقع من تسرّب للمعلومات الخاصة لصالح شركة كامبريدج انالتيكا واستخدام المنصّة لتوجيه الإعلانات المستهدفة. هذه التدخلات تدرّجت من أرشفة للإعلانات لمدة سبع سنوات لسناح الفرصة للمحققين والباحثين للرجوع إليها متى شاؤوا، بالإضافة إلى طلب معلومات شخصية وموثقة لكلّ من يريد وضع إعلانات سياسية وإجتماعية وعند عرض الإعلان السياسيّ يكتب تحته ممول من فلان أو مؤسسة..، وباستطاعة المستخدم بكبسة زر أن يطفئ الإعلانات السياسية بشكل كامل، وأخيرًا أتاحت المنصّة معلومات حول الإنفاق الإنتخابي الذي دفعه كل مرشح رئاسي على الإعلانات المستهدفة. على سبيل المثال أنفق جو بايدن 102.932.252 دولار أميريكي ودونالد ترامب 95.205.960 دولار أميريكي[١]، وكل هذه الأرقام والمعلومات موجودة مجانًا للجميع على موقع فايسبوك.

بهذه الطرق المتعددة من تحريك للحشود المقهورة والمقموعة وتنظيم تحركاتهم، وتشديد قبضة الحكام والأنظمة المستبدة على شعوبهم، ونمو حالات التطرف والعنف بكافة أشكاله وتضخيمه، وصولًا إلى تغيير نتائج الإنتخابات؛ هكذا أثرت منصّات التواصل الإجتماعي بشكل خاص والإنترنت بشكل عام، أي الوسائل الإتصالية الأحدث، على الحياة السياسية لدى الشعوب التي تستخدمها، واختلط **المرسل بالمرسل إليه**، فمرة كان الشعب ليتحول إلى الأنظمة وبعدها كانت برامج وحسابات الكترونية وهمية. أمّا **الرسالة** فاختلفت حسب **المرسل** ففي حالة الثورات كانت تحررية انتفاضية، وفي حالة اللأنظمة الشمولية كانت رسالة قمعية تشددية، أمّا عندما كان **المرسل** متشددًا فكانت الرسالة نشر هذا التشدد وكما سيتبين في المبحث الثاني تقويض دعائم النظام الدولي القائم، وأخيرًا

[١] موقع فايسبوك، "**التحضير للإنتخابات**"، تاريخ الدخول: ٢٠٢١/٨/٢٧،
https://about.facebook.com/actions/preparing-for-elections-on-facebook/

كانت **الرسالة** في الإنتخابات الرئاسية تخويفية ذات أهداف تُغيّر من خيارات الناخبين. ولا تنتهي الأمثلة والحالات هنا، فكلما تعلّم شخص أو نظام أو مؤسسة جديدة أسرار عمل المنصّات وطرق التأثير على المستخدمين سوف يبرز الى الواجهة **مرسل ومرسل إليه ورسالة جدد.**

من دون فهم تأثير المنصّات على السياسات الداخلية للدول من الصعب معرفة كيف تؤثر على العلاقات الدولية، فكما المرسل والمرسل إليه متداخلين ببعضهما البعض فكذلك الأمر بالنسبة للتأثير السياسي وعلى العلاقات الدولية، ففي حالة الإنتخابات مثلاً كان هناك تدخل من جهات ودول خارجية، بطريقة شبيهة للحرب ولكن ألكترونية.

المبحث الثاني: تأثير المنصّات على العلاقات الدولية

لم تكن الولايات المتحدة الأميركية قد أعلنت دخولها في الحرب العالمية الثانية، وبالتّالي الصورة ما زالت غير واضحة عن مصير الحرب ومن هو المنتصر وكاتب التاريخ. ولكن رغم هذا الشيء، اجتمع رئيس الولايات المتحدة فرانكلين روزفليت ورئيس وزراء بريطانيا ونستون تشيرشيل يوم ١٤ آب ١٩٤١ في "مكان ما في عرض البحر"، صدر عن الإجتماع إعلانًا مشتركًا عرف بـ "ميثاق الأطلسي"، لم يكن تحالفًا أو إتفاقية ولكن كما ورد في نصّها أنّها تأكيدًا "علىمبادئ مشتركة محددة في السياسات الوطنية لبلديهما، التي يبنيان عليها آمالهما في مستقبل أفضل للعالم". هذا الإعلان الذي قدمت ١٠ دول دعمها لمبادئه، رسم خارطة الطريق لطبيعة النظام العالمي ما بعد الحرب الكبرى.[١]

بالنظر إلى مبادئ ميثاق الأطلسي بالإضافة إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وميثاق الأمم المتحدة، وبالتّعمق في طريقة عمل النظام العالمي واللاعبين الأساسيين فيه، أيّ الدول الكبرى المؤثرة قي القرارات الدولية وهي كانت بشكل عام الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية، نستنتج الخطوط العريضة للنظام العالمي، ولا بدّ للذكر هنا أن الفترة الممتدة من نهاية الحرب حتى يومنا هذا انقسمت إلى حقبتين أساسيتين، الثنائية القطبية وانقسام العالم بين رأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية وشيوعي بقيادة الإتحاد السوفيتي، والأحادية القطبية بزعامة "المنتصر" في الحرب الباردة أي الرأسمالية. ما يهمنا في بحثنا هو الحقبة الثانية وبالتالي فهم طريقة عمل النظام العالمي الحالي. الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية، ما عدا الإتحاد السوفياتي، تصورت عالمًا شبيه بأنظمتها الداخلية، السياسية والإقتصادية والإجتماعية، عالمًا يسود فيه السلام والحريات وتزدهر فيه التجارة والنمو. ترجمت هذه الأمور بالعديد من المؤسسات الدولية كمنظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولي وغيرها. كما عملت الولايات المتحدة الأميركية عبر هذه المؤسسات الدولية على بسط هيمنتها على كامل الكرة الأرضية تحت مسميات نشر الديمقراطية وتحرير الشعوب ومكافحة الفساد إلخ...

[١] ميثاق الأطلسي لعام ١٩٤١، تاريخ ميثاق الأمم المتحدة، الموقع الإلكتروني للأمم المتحدة، تاريخ الدخول: ٢٠٢١/١/١٦، https://www.un.org/ar/sections/history-united-nations-charter/1941-atlantic-charter/index.html/

الهيمنة الأميريكية والنظام الذي فرضته على العلاقات الدولية مُنِي بعدّة انتكاسات بدأت بخسارتها في الحرب ضد فيتنام مرورًا بالإنهيار الإقتصادي عام ٢٠٠٨ ووصولاً إلى انتشار وباء كورونا وعدم التعاطي بين الدول بشكل عام والولايات المتحدة الأميريكية بشكل خاص بصفتها الدولة العظمى والأقوى على السّاحة الدولية للسيطرة عليه. فكيف يعمل النظام العالمي بعد انهيار الإتحاد السوفياتي، وما هو تأثير منصّات التواصل الإجتماعي على العلاقات الدولية؟

الفرع الأول: العلاقات الدولية بعد انهيار الإتحاد السوفياتي

"العلاقات الدولية هي كل علاقة تتمّ عبر الحدود، بين أفراد وجماعات من دول مختلفة، من طبيعة سياسية أو من شأنها أن تترك آثارًا سياسية وتتضمن الإتصالات الدولية، والعلاقات الإقتصادية والمالية والثقافية والعلمية والإجتماعية والدينية والفنية والرياضية وغيرها"[١]، أمّا النظام الدولي فهو يستعمل "لتحليل العلاقات السياسية الدولية بهدف تفسير تلك العلاقات والتوقع ما يمكن أن تكون عليه في المستقبل"[٢]. بدايةً سيتم شرح النظام الدولي بشكل علمي ومن ثم وضعه في السياق التاريخي لفهم العلاقات الدولية بعد انهيار الإتحاد السوفياتي.

المطلب الأول: النظام العالمي/الدولي والمدارس الفكرية

منذ أن كوّن الإنسان المجتمعات وبعدها الإمبراطوريات والدول، كان هناك علاقة بين بعضها البعض، طبيعة هذه العلاقة والنظام الذي يحكمها تتبدّل وتتغيّر في كل عصر، حيث يرى والتز أن "النظام الدولي يتطوّر بطريقة غير مقصودة من خلال تعايش وعمل الوحدات المستقلة بعضها مع بعض، حيث يعكف كل منها على متابعة مصلحته الذاتية"[٣]. يختلف علماء السياسة حول عناصر النظام فمنهم من يحصرها بالدولة القومية فقط لقدرتها على التأثير على الساحة الدولية بطريقة

---

[١] حسين علي ظاهر، مرجع سابق ص ٣٩

[٢] خليل حسين، "**النظام الدولي المفاهيم والأسس.. الثوابت والمتغيرات**"، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٣، ص ٢٩

[٣] كميل حبيب، عبد الفتاح عمورة، "**تحليل نظريات السياسة الدولية والسياسة الخارجية وتداعياتها على الشرق الأوسط**"، دار العلم، دمشق، ٢٠١٩، ص ٣٦

حصرية لا مثيل لها ومنهم من يعتبر أن العناصر قد تشمل المنظمات الإقليمية والدولية، والشركات المتعددة الجنسية وحتى الأفراد، وإذا ما أخذنا تعريف العلاقات الدولية المذكور أعلاه وأضفنا اليه أشخاص القانون الدولي العام نستنتج أن عناصر النظام لا تقتصر على الدول فقط.

هناك العديد من المقاربات التي حاولت تفسير العلاقات الدولية عبر البحث لشرح طبيعة النظام الدولي، من الممكن جمعها في ثلاثة مدارس فكرية أساسية وهي المدرسة المثالية والواقعية والواقعية الجديدة، ولكل مدرسة نظرياتها في تفسير العلاقات الدولية.

أولاً، المدرسة المثالية وهي تستمد أساسها الفكري من الفيلسوف أفلاطون وإقامة الحياة الفاضلة والمدينة الفاضلة، تبلورت على أرض الواقع عندما وضع الرئيس الأميريكي ويلسون المبادئ الأربعة عشر للنظام الدولي إثر انتهاء الحرب العالمية الأولى. أهم مبادئ المدرسة إعطاء دور كبير للضمير الإنساني والرأي العام في ضبط العلاقات الدولية، وإنشاء حكومة عالمية لضبط المصالح الدولية ومنع وقوع الحرب. أثبتت تلك الأفكار وتطبيقها الفشل عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية.

ثانياً، المدرسة الواقعية كما يدلّ عليها اسمها لا مكان للنوايا الحسنة فيها وتشبه بشكل كبير الأفكار الميكافيلية. أبرز المنظرين فيها هو هانز مورغنثاو الذي يعتبر أنّ الدولة الأمة هي أساس العلاقات الدولية، والنظام الدولي "تكون فيه القوة وسيلة فاعلة وقابلة للإستخدام في السياسة الخارجية،...أكثر النتائج أهمية لمثل هذه الحال هي الفوضى السائدة في النظام الدولي"[1] أبرز النظريات في هذه المدرسة هي نظرية توازن القوى، وأي خلل في التوازن سوف يؤدّي إلى خلل في العلاقات الدولية كزيادة التسلح وحتى اللجوء للحرب لإعادته.

ثالثاً، المدرسة الواقعية الجديدة وهي جاءت كرد على المدرسة الواقعية خاصة بعد ثورة الإتصالات والمواصلات التي دفعت الدول الى الإعتماد على بعضهم البعض في شتى المجالات بشكل قد تؤدي أي حرب الى خسائر كبيرة تضر بهذا الإعتماد وهو كما أسماه المنظران الأساسيان في هذه المدرسة جوزيف ناي وروبرت كوهين بالإعتماد المتبادل المعقد (Complex Interdependace). هنا

[1] كميل حبيب، عبد الفتاح عمورة، مرجع سابق، ص ٣٧

الدولة ليست اللاعب الوحيد على الساحة الدولية ولكن هناك منظمات دولية غير حكومية NGO مثلاً لها دور وتأثير كبيرين. أما القوة العسكرية والسلاح فلم تعد الوسيلة الوحيدة لتحقيق الغايات السياسية والمصالح. والإعتماد المتبادل خلق الحساسية على المستويين السياسي والإقتصادي فأيّ حدث في كوريا سوف يؤثر على الولايات المتحدة الأميريكية كإنهيار الأسهم والأسواق المالية مثلاً[١].

النظام العالمي أو الدولي القائم حاليًا وُضعت أُسسه أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية، تمّ من خلاله إنشاء مؤسسات دولية أبرزها الأمم المتحدة التي تهدف الى "حفظ السلم والأمن الدولي"[٢]. هذه المؤسسات "تعكس مصالح الدول الغربية وقيمها وممارساتها"[٣]، كيف لا وهي تساهم في نشر وحماية حقوق الإنسان وحرياته الفردية وهي أفكار غربية بامتياز. كما أن الولايات المتحدة الأميريكية وبسبب خروجها من الحرب العالمية الثانية منتصرةً ولأنّها بعيدة عن أرض المعركة في أوروبا، وجدت نفسها قوة هائلة ووحيدة على الساحة الدولية، ومما زاد في قوتها إمتلاكها للسلاح النووي بشكل فردي، وذلك قبل إختراع الإتحاد السوفياتي للقنبلة النووية الذي كان علامة بداية الحرب الباردة.

هذه الفترة تميزت بهيمنة الولايات المتحدة الأميريكية التي تجسدت على عدة مستويات. على المستوى الإقتصادي أدى مؤتمر بريتون وودز (Bretton Woods) الذي عقد عام ١٩٤٤ الى نشوء ثلاث مؤسسات تجسد الأفكار الرأسمالية في النظام الدولي وتهدف الى تحقيق إقتصاد السوق عالمياً وهيمنة الرؤية الأميريكية على الساحة الدولية، وهي البنك الدولي وصندوق النقد الدولي والإتفاق العام للتعرفة الجمركية والتجارة "الغات" (Gatt)، كما تم الإتفاق فيه على ربط الدولار بسعر الذهب الذي أدّى الى إعتماده كعملة أساسية في العالم. إضافة الى مشروع مارشال لإعادة إعمار أوروبا مقابل إستيراد البضائع من دولها. أمّا على المستوى السياسي فقد تمّ إنشاء منظمات حكومية

---

[١] من محاضرات العميد الدكتور كميل حبيب في تحليل نظريات العلاقات الدولية، الجامعة اللبنانية، ماجستير بحثي في العلاقات الدولية والدبلوماسية، ٢٠٢٠

[٢] ميثاق الأمم المتحدة، الفصل الأول: مقاصد الهيئة ومبادئها، المادة الأولى من موقع الأمم المتحدة تاريخ الدخول ٢٠٢١/٨/٣٠، https://www.un.org/ar/about-us/un-charter/full-text

[3] Samuel P.Huntington, "**The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order**", Simon&Schuster, New York, 2011, p 354

كالأمم المتحدة وتحالفات كحلف الناتو وكلها تؤثر الولايات المتحدة على عملها بشكل كبير، ولكن بروز الإتحاد السوفياتي كقوة عظمى مناوئة لها أدّى الى توازن القوى بينهما وبدأ نظام الثنائية القطبية.

أدت الحرب الباردة إلى تأخير تحقيق الأمم المتحدة لغاياتها الأساسية، فعلى سبيل المثال لم تقبل عضوية العديد من الدول في المنظمة بسبب الخلافات بين القطبين. وبالتالي لأنّ المنظمات الدولية التي أنشئت بعد الحرب العالمية الثانية شبيهة بالعالم الغربي الرأسمالي ولأنّ الإتحاد السوفياتي ذات أيديولوجيا شيوعية، لم يتمّ نشر الأفكار الليبرالية والرأسمالية في العالم كما حصل بعد إنهيار العالم الثاني أي القطب الشيوعي. فبعد العام ١٩٩١ ومع تفكك الإتحاد السوفياتي "برزت الولايات المتحدة كقوى عظمة وحيدة تهيمن على السياسة الدولية. من هنا، أعادت تعريف النظام الدولي من منطلق نظام عالمي أحادي القطب... (و) وجدت... نفسها في موقع فريد في نوعه لنشر نموذجها السياسي وصياغة الأجندة الدولية... وتجسدت سياسة واشنطن الخارجية (في) نشر رأسمالية السوق الحر والديمقراطية الليبرالية"[١] وبسبب عدم وجود أي معارضة على الساحة الدولية وخاصة بسبب قبول الصين إنفتاح الأسواق وحرية التبادل التجاري، ظهر تطور النظام الدولي "بمناخ ليبرلي" وديمقراطي بشكل لا يمكن إيقافه[٢].

المطلب الثاني: العلاقات الدولية بعد العام ١٩٩١ والعولمة

الهيمنة الإقتصادية والعسكرية والثقافية للولايات المتحدة الأميريكية على الساحة العالمية جعل الرئيس الأميريكي جورج بوش في العام ١٩٩١ ليصرّح بكل ثقة أنّه بدأ "نظام عالمي جديد"، هكذا استطاع القطب الرأسمالي بقيادة الدولة الأقوى عالميًا على السيطرة على مفاصل العلاقات الدولية، عبر التحكم بقرارات المؤسسات الدولية أو عبر إستعمال جزرة الإقتصاد أو عصا القوى العسكرية والتّدخل في أي دولة "عدوة" في العالم بذريعة "الّتدخل الإنساني" ومنع "حمّامات الدم"، وكل تحركات

[١] كميل حبيب، عبد الفتاح عمورة، مرجع سابق، ص43

[2] Daniel C. Hellinger, op. cit. p 142

الولايات المتحدة كان يرافقه دعم إعلامي ودعاية هائلة[1]. وبالرغم من أن استراتيجية الولايات المتحدة للسياسة الخارجية بقيت غير واضحة وثابتة حتى العام ٢٠٠١ وبقيت في موقع رد الفعل[2]إلّا أن ذلك لم يمنعها من ممارسة هيمنتها.

تميزت هذه الحقبة بثورة في مجالي الإتصالات والمواصلات، فكان إختراع الإنترنت الذي سرّع بانتقال المعلومات بكلفة زهيدة بين البشر والموصلات عبر الطائرات النفاثة مثلاً، هذه الحالة العالمية أُطلق عليها تسمية العولمة وتحول العالم إلى قرية كونية صغيرة ونسبها البعض للأمركة، خاصة بسبب تبني معظم دول العالم للأفكار الليبرالية حيث "أصبح هناك إحساس عالمي متعاظم بأهمية الدفاع عن حقوق الإنسان والقيم الديمقراطية"[3]، وتذرع الولايات المتحدة بهذه الحجة للتدخل في الدولة التي ترى فيها مصلحتها. وجاءت العولمة كحل للنظام الإقتصادي العالمي الذي اتسم بالفوضى في التسعينات[4].

بالنسبة إلى كوهين وناي فإن العولمة بدأت منذ العام ١٩٤٠ عندما وضعت الولايات المتحدة الأميريكية أسس النظام العالمي الحالي، وهما يفرقان بين العالمية والعولمة كمصطلحين علميين، فالعالمية هي " حالة للنظام للعالمي يتضمن شبكات من الإعتماد المتبادل عبر القارات، ويتم تبادل السلع ورأس المال والأفكار والمعلومات والقوة العاملة والأمراض البيولوجية عبرها" ، أما العولمة والإنكفاء عنها فهي حالة ارتفاع أو انخفاض العالمية، وبالتالي العالمية هي نوع من الإعتماد المتبادل الذي شهدته العلاقات الدولية بأشكال مختلفة منها على سبيل المثال طريق الحرير. وبالنسبة لهم هناك أربعة أوجه للعالمية وهي الإقتصادية والعسكرية والبيئية والثقافية، فعند انهيار الإتحاد السوفياتي تراجعت العالمية العسكرية لتحل محلها الثقافية خاصة بعد ثورة المعلومات وانتقال الأفكار بسرعة كبيرة. كما يفضلان فصل الأمركة عن العالمية أو العولمة كمصطلحين علميين قديمين في التاريخ حتى قبل وجود الولايات المتحدة، ولكن دون إنكار أن العولمة الحالية في هذا الزمن هي

---

[1] Florian Zollman, op.cit., p.230

[2] خليل حسين، مرجع سابق، ص ٣٩٥

[3] موسى إبراهيم، مرجع سابق، ص ٣٦٣

[4] كميل حبيب، عبد الفتاح عمورة، مرجع سابق، ص ٩٨

أميريكية الطابع والهيمنة[1]. يقول الإمام شمس الدين في هذا الصدد:"" العولمة تقوم على إجتياح للثقافات الأخرى ومحوها محوًا كاملاً... إنّها سيطرة القوى الكبرى والغالبة، وهي إلى جانب السيطرة الإقتصادية والسياسية تمارس السيطرة الثقافية"".[2]

في العام ٢٠٠١ تمّ زيادة السيطرة العسكرية على تلك الثقافية، فبعد اجتياح الطائرتين لبرجي التجارة العالمية في نيويورك رمز العولمة وطائرةأخرى لوزارة الدفاع رمز القوة العسكرية الأميريكية، تحوّلت إستراتيجية الأخيرة إلى الحرب على الإرهاب واستعملت قواها لمحاربة الإرهابيين في الظاهر وتغيير الأنظمة وبسط سيطرتها على العالم في الباطن، فكان اجتياح أفغانستان في نفس العام وبعدها العراق عام ٢٠٠٣. هكذا اتسم النّظام العالمي بسيطرة الولايات المتحدة الأميريكية على كافة الصعد في ظل عولمة أميريكية إقتصادية وثقافية وسياسية وعسكرية، ولكن هذه السيطرة لم تخلو من المطبات.

في العام ٢٠٠٨ تعرضت الأسواق في الولايات المتحدة لإنهيارات وإفلاس للبنوك فيما عرف وقتها بفقاعة رهن البيوت، هذا الإنهيار أثّر على كل إقتصاديات الدول حول العالم وهو دليل على العالمية والإعتماد المتبادل الإقتصادي، النكسة الثانية كانت الحرب السورية عام ٢٠١١وعدم قدرة الولايات المتحدة على استخدام مجلس الأمن للتّدخل وقلب النظام من قبل حلف الناتو في ليبيا مثلاً، وهو دليل على صعود قوة جديدة على الساحة السياسية الدولية ومؤشرعلى العالمية السياسية والعسكرية، أما حاليًا وكدليل على العالمية البيئية فإن انتشار فيروس كورونا وانكفاء الولايات المتحدة عن القيام بدورها كقوى عظمة فهو إعلان لتراجع العولمة بقيادة الأخيرة خاصة وأنّ الدول كافة سارعت لإغلاق حدودها بوجه الأشخاص والسلع. أمّا ما يهمنا فهو العالمية الثقافية وكيف أثّرت المطبات تلك على انتشار الأفكار بين الدول وكيف ساهم الإنترنت ومنصّات التواصل بتضخيمهم أو

[1]Robert O. Keohane, Joseph S.Nye, op.cit. pp. 214-225-226-227-229-230-231

[2] كميل حبيب، حازم البني، **"من النمو والتنمية الى العولمة والغات"**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ٢٠٠٠، ص ٣٤٢

تخفيضهم، "**فالسياسة**(وهنا ننسبها إلى الأحداث السياسية والإقتصادية الناتجة عن العولمة)**سوف تؤثر في إتجاهات ثورة المعلومات والعكس صحيح**(كيف ستؤثر هذه الثورة على السياسة)"[١].

الفرع الثاني: عولمة، فتطرف، فإنكفاء (Deglobalization)

يجادل ناي وكوهين أنّ الثورة المعلوماتية لم تؤدِإلى العولمة والإعتماد المتبادل المعقد، ولكن الدول على مدى ثلاثة عصور تحكّمت بانتقال المعلومات ولا يمكن فهم حدوث تلك الثورة إلّا ضمن سياق العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، فالولايات المتحدة حرصت على عدم حدوث كساد عظيم كالذي حدث عام ١٩٢٩ وعملت على احتواء الإتحاد السوفييتي، فكانت الطريقة كما ذكر بتشكيل النظام العالمي بشكل يشبه الأنظمة الليبرالية الديمقراطية، وثورة المعلومات والإتصالات في هذا السياق هي نتيجة للحرب الباردة إذا ما أخذنا في الحسبان أن الإنترنت ولد في مختبرات وزارة الدفاع. ولكن انتشار الإنترنت وانخفاض تكلفته أدى إلى ازدياد أعداد المستخدمين وانتقال المعلومات بينهم بشكل وكثافة غير مسبوقتين تاريخيًا، ممّا زاد من الإعتماد المتبادل وبالتالي العالمية وزيادتها أميريكيًا عبر العولمة[٢]. هذه الأخيرة ورغم حسناتها العديدة إلا أن لديها العديد من المشاكل أبرزها عدم المساواة.

المطلب الأول: الوعود المضللة

حرصت الولايات المتحدة الأميريكية على تلميع صورة العولمة قدر المستطاع باستخدام قوتها الناعمة الهائلة عبر تقنيات الإتصالات الحديثة، وبالفعل أدّت العولمة الى "اندفاع مسيرة حقوق الإنسان عالميًا" و "انتشار مصطلح التنمية البشرية المستدامة في إطار التأكيد على دور الإنسان في التنمية"[٣]، بالإضافة الى ثورة الإتصالات والمواصلات والثقافة الإستهلاكية والتكنولوجيا التي "سهلت" حياة البشر. ولكن في الحقيقية إنّ العولمة الحالية المرادفة للأمركة هي "" قدر زاحف لا تقاومه إلا

[1]Robert O. Keohane, Joseph S.Nye, op. cit. p.216

[2]Ibid., pp.214-232-239

[٣]كميل حبيب، حازم البني، مرجع سابق، ص ٣٨٤

القلة القليلة الضعيفة أو المستضعفة"" ويعني ذلك أنّ لا مهرب للدول من هذا النظام العالمي ومن يحاول تكون العقوبات له بالمرصاد كحالة فنزويلا وإيران. هذا سياسيًا، أمّا إقتصاديًا فالرفاهية الموعودة لم تتحقق إلا لقليل من الناس والدول، فمعدلات الفقر ازدادت والأزمات الإقتصادية كالتي حدثت عام١٩٩٧ في تايلند وأثّرت على إقتصاديات الدول توالت بشكل شبيه لأزمات ثلاثينيات القرن المنصرم، حتى في الدول الغربية تذرع الناس من الغبن الحاصل لهم جراء العولمة، فالعاملون فقدوا وظائفهم وتمّ لوم السلع المستوردة والمهاجرون (نتائج العولمة)، حتى وصل الأمر للقيام عام ٢٠٠٠ بتظاهرات ضد سياسيات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي في واشنطن[١] وهذه دليل على تراجع وتيرة العولمة.

تشير الأرقام في الولايات المتحدة الأميريكية أن أغنى١٪ من المواطنين يتلقون ٢٨٪ من الدخل القومي، وذوي الدخل المتوسط تلقوا ٤٥٪ والفقراء فقط ٥٪. عدم المساواة في الدخل هذا تزايد بشكل كبير خلال العقود الثلاث المنصرمة بالتزامن مع ازدياد العولمة وعندما يتهم الحكام الشعبوين العولمة بأنها هي من سببت هذا يرى ويليامسون أن ""ازدياد عدم المساواة (في الدول الغنية) يمكن إرجاع سببها إلى العولمة بنسبة الثلث إلى النصف""[٢]فقط وليس أكثر، بالإضافة الى عدد من الأسباب الأخرى كاستعمال الروبوتات مكان البشر في المصانع. إنّ الأزمات الإقتصادية الناتجة عن العولمة والإعتماد الإقتصادي المتبادل ونتائجها التى أدت إلى إزدياد الفقر وعدم المساواة بالإضافة إلى "الحاجة للبحث عن معنى للوجود في مجتمعات اللامعنى الإستهلاكية،..والحاجة للإنتماء إلى عصبة موضع الفخار والإفتخار"[٣]، هي أسباب ظهور التطرف والأصولية في أكثر من دولة غنية أوروبية وأميريكية وأبرز هذه الحركات اليمين المتطرف في فرنسا مثلاُ بقيادة مارين لو بين والولايات المتحدة الأميريكية بما يعرف باليمين البديل(Alternative Right)، "هذا السياق شبيه تاريخيًا بما

---

[١]كميل حبيب، عبد الفتاح عمورة، مرجع سابق، ص ١٠٠ ١٠١

[2] Jeffrey G. Williamson, "**Globalization and the Labor Market: Using History to Inform Policy**", in Robert O. Keohane, Joseph S.Nye, op. cit. pp. 252-254

[٣]مصطفى حجازي، مرجع سابق، ص ١٣١

حدث قبل الحرب العالمية الثانية حيث أدّى الكساد العظيم والقيود المفروضة على إلمانياإلى ظهور النازية المتطرفة والفاشية أيضاً"[1].

الفرق في زمننا أن هناك وسائل إتصالية لم تكن موجودة سابقاً، وكما ذكرنا في البحث سابقاً، فإن التواصل بين مجتمعات وأشخاص غير متساووين ويتلقون معاملة مختلفة من الدولة مثلاً سوف يؤدّي ذلك إلى التعصب، ولأنّ منصّات التّواصل الإجتماعي تشجع أيضّا على ربط المتطرفين ببعضهم البعض، بشكل كان شبه مستحيل في السابق، ولأنّهم يعرفون كيف يُسخّرون البرامج المشغلة لصالحهم، لذلك هناك آلات متطورة (الهاتف الذكي ومراكز عمل المنصّات) تضخّم وتزيد هذا التطرف بشكل أصبح يؤثّر على العملية السياسية الداخلية والخارجية.

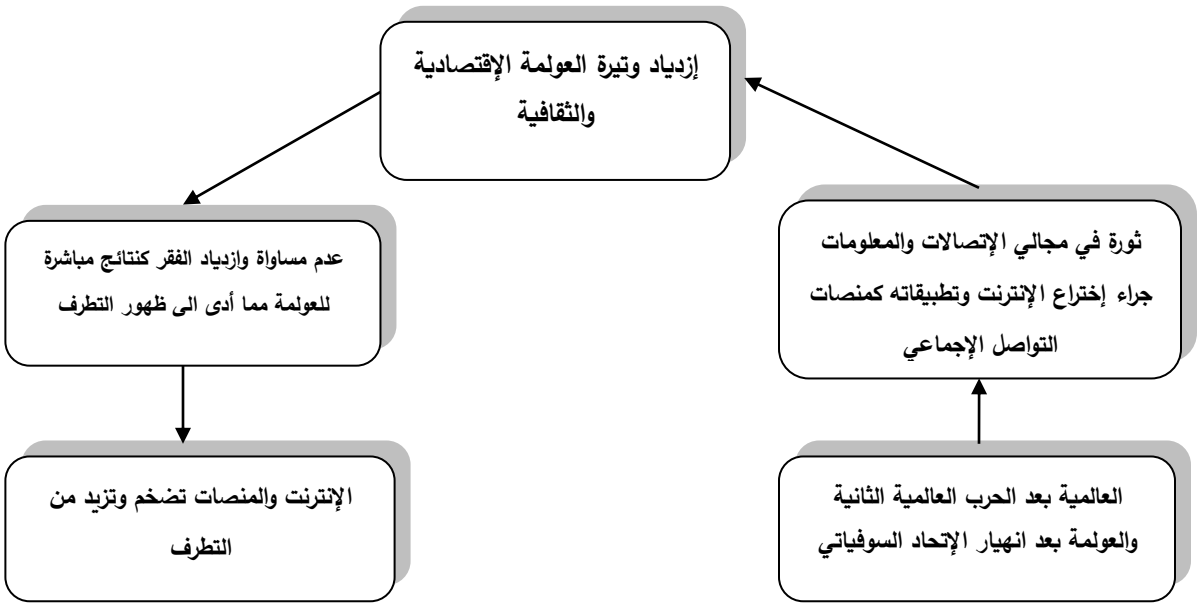

صورة رقم ٥ أثر العولمة على التطرف

[1]Robert O. Keohane, Joseph S.Nye, op. cit., p. 252

المطلب الثاني: أثر التطرف "الأميريكي" على النظام العالمي

في صبيحة ٦ كانون الثاني عام ٢٠٢١ في العاصمة الأميريكية واشنطن، تجمع آلاف من المتظاهرين وحاصروا مبنى الكابيتول مقر مجلسي النواب والشيوخ أثناء انعقاد الجلسات، وهم يلبون دعوة ترامب "للزحف" الى العاصمة من جميع الولايات احتجاجًا على "سرقة" الديمقراطيين ومرشحهم جو بايدن للإنتخابات الرئاسية. المتظاهرون هم من المتطرفين العرقيين فمنهم من يتبع التجمع المتطرف QAnon ومنهم من حمل علم الكونفدرالية الأميريكية كدلالة على عدم الثقة بالنظام الفدرالي الأميريكي القائم حاليًا و "كحنين الى الأصول الأولى التي يسبغ عليها طابعًا مثاليًا إذ تمثّل الحالة النقية في سوائها وصلاحها"[١] فهذه هي الأصولية.

يعود السبب لذلكالى انتخابات ٢٠١٦ عند وصول ترامب إلى سدّة الرئاسة، عندما تحولت أصوات الناخبين المهمشين بسبب "النظام العالمي الجديد" والعولمة الإقتصادية التي " وإن حسّنت أحوال العديد من البشر في شرق آسيا مثلاً إلا أنّها تركت هؤلاء (الناخبين) مهمشين وغير مستفدين من نمو العولمة، وهم من عمال المناجموالمصانع في شمال ووسط الولايات المتحدة" الذين كانوا في السابق يصوتون للحزب الديمقراطي وجاء ترامب الذي استغل أوضاعهم واستعمل مكبرات وسائل التواصل لنشر الدعاية والهلع بين أوساطهم[٢]، وأصبح هناك جيش الكتروني من المتابعين لترامب الذين ينتمون إلى المحافظين الإنجيلين والمحازبين الجمهوريين، بالإضافة إلى مجموعة من الشباب البيض العصبيين الذين يعرفون كيف يستخدمون الإنترنت[٣]. وفي الفترة الممتدة بين الإنتخابين الرئاسيين أصبح هناك أب لهؤلاء المتطرفين في "أقوى" موقع سياسي في العالم والذي لم يتوانَ في تحريكهم عبر نشر نظريات المؤامرة والأخبار الكاذبة عبر المنصات التي تزيد من انتشار هذه الأمور وزياد التعصب كما شرحنا في قسم الأثر السياسي للمنصات فيما خص التطرف سابقاً.

---

[١] مصطفى حجازي، مرجع سابق، ص 134

[2] Daniel C. Hellinger, op. cit., pp. 147-148

[3] P.W Singer and Emerson T. Brooking, op. cit., p174

هذه التحرّكات المتطرفة لديها أفكار تختلف بين منظمة وأخرى، ولكن حركة اليمين البديل التي تجمع بين العديد من المنظمات تؤمن بـ[1]:

١- رفض الديمقراطية الليبرالية وأنّ الناس لم يُخلقوا متساويين.

٢- العنصرية البيضاء.

٣- ضد الأمركة ورسالتها بالعيش المشترك بين جميع الأعراق.

٤- الخطاب المتهكم والسّاخر من كل ما هو ليس بأبيض البشرة.

وجود ترامب على رأس السلطة التنفيذية وضع هذه الأفكار موضع التنفيذ، فهو اعتمد في خطاباته جملة "جعل أمريكا عظيمة مجددًا" و "أمريكا أولاً" وأظهر رفضه للقوانين الدولية القائمة (التي وضعتها الولايات المتحدة سابقاً!) وسرعان ما ترجمها إلى قرارات تنفيذية حيث نورد بعضًا منها لكثرتها: الإنسحاب من إتفاقية القوى النووي متوسطة المدى ١٩٨٧، واتفاقية باريس٢٠١٥ للمناخ، G7، والأونيسكو، وإتفاقية إيران النووية، التشكيك بحلف الناتو، التهديد بالإنسحاب من منظمة التجارة العالمية، المطالبة بإعادة روسيا إلى قمة السبعة[2]، وأخيرًا وبسبب إنتشار فيروس كورونا إنسحب من منظمة الصحة العالمية[3]. هكذا تكون إدارة ترامب انسحبت من اتفاقيات دولية قديمة العهد رسمت النظام العالمي الذي انتجته الولايات المتحدة بِنفسها ولم يتردد بمهاجمة الحلفاء وتهديدهم كانسحاب القوات الأميريكية من إلمانيا، وقام بدعم الدول الشمولية ككوريا الشمالية، كل

---

[1] Thomas J.Main, op. cit., p. 8

[2] Zachary B. Wolf and JoElla Carman, "**Here are all the treaties and agreements Trump has abandoned**", CNN, February 2019, https://edition.cnn.com/2019/02/01/politics/nuclear-treaty-trump/index.html, تاريخ الدخول: ٩٢٠٢١/٤

[3] Oona Hathaway, "**Reengaging on Treaties and other International Agreements**", Just Security, October 2020, https://www.justsecurity.org/72656/reengaging-on-treaties-and-other-international-agreements-part-i-president-donald-trumps-rejection-of-international-law/, تاريخ الدخول : ٢٠٢١/٩/٤

هذه الأمور تؤدّي إلى تراجع دور الولايات المتحدة الأميريكية على الساحة الدولية خاصة باعتبارها قوة عظمى وعليها الحفاظ على النّظام العالمي القائم.

إنّ هذا التراجع لدور الولايات المتحدة على الصعيد العالمي بسبب إتباعها سياسة اليمين المتطرف لا يخدم سوى خصومها وخاصة الصين التي في بضع سنوات ستصبح القوة الإقتصادية الأولى عالميًا بالإضافة إلى روسيا وغيرها من الخصوم، وهي ستكون بداية للمطالبة بتغيير قواعد اللعبة، على سبيل المثال لا الحصر إضافة أعضاء دائمين في مجلس الأمن لمواكبة التغيرات السياسية التي تحصل. هذه الأحداث يشبهها المؤرخ بيتر فرانكوبن بتغير مركز الجذب العالمي مرة أخرى إلى المكان الذي كان فيه سابقاً، فهو انتقل من آسياإلى أوروبا إلى الولايات المتحدة واليوم يعود مرة جديدة الى آسيا[1]خاصة مع صعود الصين وإعادة إحياء طريق الحرير القديمة عبر مبادرة الحزام والطريق، وانسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان حديثًا، ففي قوانين الفيزياء عندما يتغير مكان الثقل في أي جسم يتغير مباشرةً مركز الجذب(Center of Gravity) و"ثقل" الولايات المتحدة على ساحة العلاقات الدولية وخاصة آسيا يقل باستمرار. لا يخلوانتقال مركز الجذب من التوترات الأمنية والإقتصادية واندلاع الحروب وسفك الدماء وهو ما كان يحصل مع كل انتقال عبر التاريخ، أما اليوم فالحرب هي الكترونية وبالمفارقة تقوم بها القوتين الصاعدتين في آسيا الصين وروسيا حيث يستخدمان منصّات التواصل الإجتماعي لدى سكان الدول الغربية بالدعاية وغيرها. "في النهاية وعلى المدى البعيد، بإمكاننا التوقع أن العولمة نفسها سوف تؤدّي إلى تقليص هيمنة الولايات المتحدة الأميريكية خاصة عندما تزيد قدرات الدول الأخرى"[2].

الفرع الثالث: الحرب الإلكترونية

يطلق ريمون أرون تسمية "الحرب والسلام" على كتابه حول العلاقات الدولية وذلك لإن الدول إما في حالة حرب أو في حالة سلام. والحرب هي صراع عسكري بين مجموعتين أو أكثر لتحقيق أهداف سياسية على حساب خسائر بشرية ومادية. في السابق وعبر التاريخ كان يلازم الحروب أكثر

[1]Peter Frsnkopen, "**The Silk Roads**", Bloomsberry, London, 2015, p.509

[2] Robert O. Keohane, Joseph S.Nye, op. cit., p. 254

من السلام ماكينات للدعاية للتأثير على معنويات المحاربين وحتى السكان السلميين وثنيهم عن القتال، أكثر نوع تقليدي لذلك هو رمي المنشورات فوق رؤوس الأعداء. في هذا الصدد يقول كلاوزويتسClausewitz الكاتب الألماني الذي عاش الحياة العسكرية أنه لربح الحرب يجب ضرب مركز جاذبية العدو وهو عادةً مركز قيادة الجيش، ولكنه يتابع أن المعنويات هي أهم شيء في الحرب وهي المحرك للجيوش[١]، اليوم لا تحتاج الدول الى منشورات أو بث إذاعي للقيام بذلك، كلّ ما عليها فعله هو اتقان استعمال الإنترنت ومنصّات التواصل الإجتماعي.

المطلب الأول: الدعاية والحرب النفسية

لطالما رافقت الدعاية (ونقصد البروباغندا) الحروب منذ فجر التاريخ حيث تقوم الجيوش بحروب نفسية متزامنة مع الحرب العسكرية. فالتتر سابقاً استخدموا الدعاية بشكل فعال جدًا عبر نشر الجواسيس والعملاء في صفوف العدو حيث يقومون بسرد قصص مخيفة عنهم، وهم بالفعل وإن كانوا مقاتلين شرسين ويتميزون بسرعة فائقة، إلا أنهم ليسوا بذلك الوحش الرهيب الذي لا يقهر كما يسرد الجواسيس. من أهداف الحرب النفسية ما يلي:

١) تحديد العدو
٢) دعوة(الناس المنصفين)
٣) العطف على عامة الناس
٤) إدعاء تأييد حكومة شرعية
٥) التأكيد على قوة ومعنويات المقاتلين
٦) تفرقة وحدة العدو[٢]

[1]P.W Singer and Emerson T. Brooking, op. cit., p18

[٢] محمد محمود المندلاوي، "**الدعاية وخفايا الإرهاب حرب بلا رصاص**"، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٠، ص٦/١٥

أبرز مثال حديث وشبيه بالحرب النفسية هي تلك التي قامت بها داعش قبل احتلال الموصل بطريقة مماثلة لإستراتيجية التتر، فاليوم هناك حرب نفسية على الإنترنت ومنصّات التواصل الإجتماعية ولكن يصل الأمر إلى وجود حرب الكترونية قائمة بالفعل على الشبكة، هذه الحرب لها هدفين: الأول التأثير على العدو لكسب المعركة الحقيقية وثانياً: للسيطرة على العقول، "فمن يملك اللحظة يملك الساعة" يقول الخبير الإستراتيجي أوغست كول، "ومن يملك اللحظة، يملك البلد"[1] ويقصد هنا لحظات الحرب الإلكترونية من إعجاب وتعليق وغيرها.

أولاً، في جميع الحروب العسكرية التي تندلع في زمن الإنترنت، هناك جبهة جديدة مستحدثة على منصّات التواصل الإجتماعي، في الماضي القريب كانت محطات التلفزة تنقل أحداث المعارك ويتشكل الرأي العام العالمي على أساس المعلومات التي "تتفلتر" بنموذج الدعاية الذي تمّ شرحه، أما اليوم فأيّطرف في الحرب لا يجيد إستخدام الوسائل الإتصالية الحديثة من الممكن الجزم بأنه سيخسر الحرب. أكثر جهة عرفت كيف تسخر تلك المنصّات هي المقاومة الفلسطينية، ففي كل معركة بين قطاع غزة والعدو الصهيوني كان هناك معركة لكسب الرأي العام، فهم تعودوا على انحياز الإعلام الغربي لصالح الكيان وعدم إنصافهم وتصوير المحتل بأنه بريء ويتعرض لمجازر على يد إرهابيين.

بدأت المقاومة إتقان إستخدام المنصّات في العام 2008 كما ذكرنا في الفصل الأول ولكن أيضًا من اشترى كبرى الشركات الإعلامية في السابق دخل أيضًا على خط المنصّات، حيث يقول رئيس مكتب المعلومات الإسرائيلي أنّ هناك ثلاث جبهات يجب العمل علها وهي القتال الفعلي و القتال السيبراني حيث هناك حرب بين المهكّرين(Hackers) الذين يحاولون اقتحام مواقع العدو الإلكترونيّة، وأخيرًا جبهة عالم منصّات التواصل الإجتماعي، وهي جبهة من الصعب السيطرة عليها مثل الجبهتين السابقتين، في حال انتشرت في جميع أنحاء الإنترنت[2]. وإذا لم توفق المقاومة بحربها عام ٢٠١٢ فهي نجحت بشكل كبير عام ٢٠٢١ باحتجاجات ضد إخلاء بيوت السكان الفلسطينين في حي الشيخ جراح.

---

[1]P.W Singer and Emerson T. Brooking, op. cit., p293

[2]Ibid., p.194

بسبب الحديث المكثف والنقل المباشر المتواصل لأحداث القدس وحي الشيخ جراح، استطاع الفلسطينيون أن ينالوا تأييد معظم الرأي العام العالمي حتى الغربي في قضيتهم هذه، وبالفعل تم ثني العدو عن احتلال المنازل في ذلك الحي. كما استطاعوا أيضاً أن يسلطوا الضوء على الطريقة والمصطلحات التي تستخدمها وكالات الأنباء والصحف والمحطات الغربية بوصف الفلسطينين على أنهم إرهابيين والعدو بأنهم ضحايا، وتمكنوا من تغيير اللغة و"الحكاية" التقليدية، على الرغم من وجود جهاز كبيريضم مئات من جنود الإحتلال الشباب وظيفتهم فقط الجلوس خلف الحواسيب و"القتال" على جبهات منصات التواصل. وهكذا ربح المقاومون معركتهم في الشيخ جراح بعد كسب الرأي العام العالمي مستخدمين منصّات التواصل "الغربية".

ثانياً، تهدف الحرب النفسية للسيطرة على العقول عبر استخدام مميزات الإنترنت ومواقع التواصل لكسب الأراء وتغيّر الإتجاهات والأفعال. إنّ أوّل من اتّبع هذه الإستراتيجية حديثًا هي الولايات الممتحدة الأميريكية عبر استخدامها للقوة الناعمة، المصطلح الذي كتبه وعرفه ناي بأنّها القدرة على جعل الآخرين لفعل أشياء ما كانوا ليفعلوها لو تم تهديدهم بالعقوبة أو تحفيزهم بالمكافئة، ويتم ذلك بالتحفيز عبر المعلومات المجانية التي يريد الطرف إيصالها، فإذا كان باستطاعة الدولة أن تظهر قوتها بأنّها شرعية في عيون الآخرين فبإمكانها الإستغناء عن استعمال القوات العسكرية والإقتصادية[1]. إستخدمت الولايات المتحدة مؤسساتها الإعلامية وهوليوود وشركاتها الكبرى لنشر ثقافتها ضمن ما يعرف بالعولمة الثقافية، ولفترة من الزمن حتى اليوم استطاعت التأثير على شريحة كبيرة من سكان المعمورة الذين يؤيدون الأفكار الليبرالية والديمقراطية والثقافة الأميريكية، وهي أكملت مشروعها باستخدام قوتها الناعمة على الإنترنت والمنصّات. ولكن ما لم تتوقعه هو استخدام باقي الدول للإنترنت بنفس الطريقة. على سبيل المثال يرافق صعود الصين الإقتصادي والعسكري حاليًا تأثير من خلال قوتها الناعمة عبر الحملات الإعلامية وتصوير هذا الصعود بأنّه عودة لموقع الصين الطبيعي في العالم عبر التاريخ وبأنّها لا تهدف إلى التّوسع الإقليمي أو الاقليمي ولكن فقط تهدف إلى رفاهية شعبها الذي بالفعل إنخفضت معدلات الفقر فيه بشكل كبير.

[1]Joseph S. Nye, Jr., " **Soft Power The Means to Success in World Politics**", Public Affairs, New York, 2004, p.5

منصّات ومواقع التواصل الإجتماعي كما تبين سابقًا تقوم بتجميع الناس الذين يتشابهون بالتفكير، وهي بالتّالي كسرت القوة الناعمة للولايات المتحدة وتأثيرها على العقول، فاستطاعت الدول أن تعيد إحياء الهويات ولكن أيضًا بدأت بالتأثير والردّ على "الهجوم" الأميريكي الثقافي. على سبيل المثال صرّح فاليري غيراسيموف من كبار الضباط الروس عام ٢٠١٤ في مقال نشر في جريدة الجيش أن القوة غير العسكرية (ويقصد الثقافية) أصبحت ضرورية لتحقيق المكاسب السياسية والإستراتيجية، ولاحقًا تمّ ضم أفكار العميد في استراتيجية الجيش الروسي باعتبارها أفكار ضرورية للدفاع ضد حرب المعلومات المقامة ضد روسيا. هكذا مرة جديدة أعطت الوسائل الإتصالية الغربية مفعول عكسي عبر تقوية باقي الدول في حقلي المعلومات والثقافة على الشبكة. ولكن هذه الإستراتيجية الدفاعية سرعان ما تحوّلت إلى هجوميّة.

المطلب الثاني: فرّق تسد

من أقدم الإستراتيجيات في الحروب هي تفرقة قوات العدو الشيء الذي يسهل عملية السيطرة والسيادة عليه، ولعلّ أبرز مثال على ذلك هي سياسة القوات الإنتدابية التي سيطرت على الأراضي العثمانية بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى والعمل على نبش الغرائز العدوانية والطائفية بين سكان البلد الواحد لضمان تفوقهم[١]، ولبنان لا يزال يعاني حتى اليوم من آثار "النبش" ذلك. ما يصلح في الحروب التقليدية العسكرية يصلح في الحرب على صفحات فايسبوك وتويتر. ففي العام ٢٠١٦ وعودًا إلى الإنتخابات الرئاسية الأميريكيّة، تمّ الحديث عن تدخّل روسي في الإنتخابات، وبالفعل أثبتت التحقيقات هذا التّدخل بالإضافة الى إشاعة التّفرقة في صفوف المواطنين الأميريكيين.

تقدّر منصّة تويتر أنّ البوتات(Bots) الروسيّة، أيّ المغرّدين غير الحقيقيين أو الحواسيب التي تقوم بالتّغريد، غرّدت ٢.١ مليون مرة خلال الحملة الإنتخابية، فقط ١٪ من مجموع التغريدات حول الإنتخابات.[٢] كما قدّرت مراكز الأبحاث أنّ عدد الحسابات الروسيّة في شبكة من جيش البوتات

[١] إيف لاكوست، مرجع سابق، ص ١٤٨

[2] Daniel C. Hellinger, op. cit., p.١١٦

الخاص بها حوالي ٦٠٠٠٠ حساب. هذه الأرقام وإن كانت قليلة العدد مقارنة بمليارات المستخدمين على المنصّات، إلا أنّها جيوش مسخّرة للقيام بالحرب الإلكترونية وهي ذاتها تسخّر المنصّات لتحقيق أهدافها مستعملةً قوة الأخيرة في تجميع الناس في مجموعات وزيادة النشاط الإلكتروني، أحد الأمثلة هي مجموعة "Secured Borders" على منصّة فايسبوك المناوئة لهيلاري كلينتون والتي وصل عدد المنتسبين لها الى ١٤٠٠٠٠ مستخدم، هذا العدد القليل نسبيًا مضاف إليه شراء مكان للإعلان على المنصّة لإستعمال ميزة الدفع "Boost" أدّى إلى انتشار أحد ملصقاتها على ٤ مليون مستخدم. هذه المجموعة وغيرها الكثير هي وليدة مكتب البحوث للإنترنت في بطرسبرغ في روسيا[١].

لذا وإن كان تأثير التّلاعب بالمنصّات الداخلي الذي قامت به حملة ترامب المذكور في مبحث الإنتخابات الأميريكية أكبر من التدخل الروسي إلا أنّ ذلك لا ينفي حصول التدخل وخاصة لأّن موقع فايسبوك على صفحته يقرّ أنّه في التحضير لإنتخابات أمريكا الرئاسية ٢٠٢٠ أغلق من العام ٢٠١٧ حتى اليوم حوالي١٠٠شبكة منتشرة حول العالم من روسيا وغيرها تقوم "بأفعال منسقة غير قانونية" للتّأثير على الناخبين[٢]. ولكن لم يتوقف الأمر على التدخل في الإنتخابات الرئاسية، ففي شباط من العام ٢٠١٨ صرّح مدير المخابرات الوطنية في الولايات المتحدة دان كوتس:""نتوقع من روسيا أن تستمر باستعمال البروباغندا ومنصّات التواصل الإجتماعي والحسابات الوهمية والعاطفة وأي من المؤثرات الاخرى بهدف زيادة الإنقسامات السياسيّة والإجتماعية في الولايات المتحدة""[٣].

التأثير الإجتماعي للمنصّات التّواصلية التي تزيد من الإنقسامات الإجتماعية وبعدها الأثر السياسي كون هذه المجموعات تسعى ووصلت إلى السلطة وأثّرت بالتّالي على العلاقات الدولية كما رأينا، هي أيضًا يتمّ تضخيمها من قبل حسابات خارجية لديها هدف وحيد وهو زيادة حدة التطرف وبالتالي الإنقسام والتباعد القطبي في الولايات المتحدة. هذه الحسابات تقوم بنشر عدد كبير من

---

[1]P.W Singer and Emerson T. Brooking, op. cit., p١٣٨

[٢] موقع فايسبوك،**"التحضير للإنتخابات"**، مرجع سابق

[3]Matthew Rosenberg, Charlie Savage, and Michael Wines**, "Russia Sees Midterm Elections as Chance to Sow fresh Discord, Intelligence Chiefs Warn,"** New York Times, february 13, 2018,in Daniel C. Hellinger, op. cit., pp. 128

التغريدات بشكل يومي وهي عبارة عن أخبار كاذبة ونظريات مؤامرة تؤدّي إلى الضياع وزرع الرّعب قي قلوب الناس والتّحول إلى الأفكار المتطرّفة، والمُلفت أنّ هدف هذه الحسابات ليس الولايات المتحدة فحسب، بل أينما يكون هناك إنقسام سياسي تتدخل فوراً كإستفتاء خروج بريطانيا من الإتحاد الأوروبي وكأنهم مرتزقة الكترونية، قد يدفعهم المردود المادي جراء النشاط الكثيف أو يتّبعون لدول تهدف إلى تفرقة صفوف العدو بهدف تحقيق مكاسب على الساحة الدولية وهو ما حصل في الحالة الأميريكية.

إرتكازًا على فكر ريمون أرون، فالحرب والسلام هما مكونان أساسيّان للعلاقات الدولية، والوسائل الإتصالية الحديثة من إنترنت ومنصّات تواصل إجتماعي جمعت بين العالمين الحقيقي والإفتراضي ولم تعدّ الأمور تقتصر على حرب معنوية من هنا أو دعاية من هناك كالماضي عندما كانت الدعاية عبارة عن منشورات أو بثّ إذاعيّ قلما يحقق أهدافه، بل أصبحت الحرب على المنصّات، حيث تعمد دولة ما لإستهداف شعب دولة أخرى عبر منصّات التواصل لتغير الرأي العام وتحقيق مصالحها وضرب مركز العدو(استناداً لأفكار كلاوسويتز) وهي أهداف الحرب التقليدية.وبالتّالي العلاقات الدولية والدبلوماسية أصبحت تدار ألكترونيًّا خاصة بعد انتشار وباء كورونا وإغلاق حدود الدول واعتماد التباعد الإجتماعي واحتكار المعدات الطبية والأدوية ما أوقف محركات العولمة بشكل كبير وخاصّة من قبل إدارة ترامب.

الفرع الرابع: مقارنة بين الماضي والحاضر

يهدف المنهج التاريخي إلى تفسير الوقائع والظواهر بالإضافة إلى التنبؤ بالأحداث المستقبلية، لهذا السبب سوف نقارن ما يحدث اليوم في العلاقات الدولية مع ما حدث في السنوات القليلة قبل الحرب العالمية الثانية وذلك لوجود العديد من أوجه الشبه، آخذين بالحسبان العملية الإتصالية في كل حقبة.

المطلب الأول: الأحداث المؤدية للحرب العالمية الأولى

عند إنتهاء الحرب العالمية الأولى وقعت إلمانيا على معاهدة فرساي المذلّة التي اقتضمت من أراضيها بنسبة ١٥٪ وخقضت عدد الجيش الإلماني بالإضافة إلى فرض تعويضات مالية على الأخيرة دفعها للدول المنتصرة. اعتبرت هذه المعاهدة بنظر الإلمان رمزًا لمعاداة الجرمانية "ما ساهم في تأجيج الشعور القومي في جميع أوساط الرايخ، وأدّى لاحقًا الى عدم التزام إلمانيا بتنفيذ عدد من بنود المعاهدة خصوصًا مسألة التعويضات، وإلى التّهيؤ لحرب جديدة تحقق الثأر"[١]. وسياسيًا أيضًا كان للثورة البلشفية ووصول الشيوعيون للحكم في روسيا عظيم الأثر ليس في إلمانيا فقط ولكن في جميع أنحاء أوروبا، حيث يعتبر بينيتو موسوليني أنّ ثورته في إيطاليا هي "ثورة ضد الثورة"[٢] ويقصد ثورة روسيا البلشفية.

هذا سياسيًا أمّا إقتصاديًا فقد أدّى إنهيار الأسهم عام ١٩٢٩ في مدينة نيويورك إلى أزمة إقتصادية عالمية سرعان ما تحولت إلى "كساد عظيم" وخسر ملايين العمال حول العالم لعملهم، هذه الأزمة يضافٌ اليها أزمة إلمانيا الإقتصادية الناشئة عن العقوبات المفروضة عليها جراء معاهدة فرساي. أمّا تكنولوجيًا كان هناك إختراع لوسيلة إتصالية جديدة هي الإذاعة وكما ذكرنا في بداية البحث فإن المرسل كان شخص ذات كاريزما عالية اسمه هتلر حيث شكل حزب وسعى للوصول إلى السلطة عبر الإنتخابات وكان له هذا بسبب خطاباته الشعبوية للمرسل إليهم ومخاطبة الأحاسيس المرهقة من الأزمات المتتالية، وبالنسبة للرسالة فهي عنصرية من حيث تفوق العرق الآري ومعاداة السامية الشّيوعية وغير ديمقراطية حيث في كتاب هتلر كفاحي هناك قسم كبير ينتقد فيه ممارسات النواب وفسادهم ومؤسسات الدولة وحاول جاهدًاإلغاء الحكم الديمقراطي حيث أصبحت جميع السلطات في يده وحده.

---

[١] حسين علي ظاهر، مرجع سابق، ص٤٤٣

[2]Enzo Tranverso, "**The New Faces of Fascism**", Translated by David Broder, Verso, London, 2019, p.18

على صعيد العلاقات الدولية تعاملت الدول وخاصة بريطانيا بدايةً بقبول الصعود النازي حيث ذهب وزير الخارجية تشامبرلاين والتقى هتلر وأخذ منه تعهد بعدم التوسع جغرافيًا وانتهاك القانون الدولي، ولكن عندما أصرّ هتلر على التّوسع وتحدّى جميع القوى العالمية وغيّر بالوضع القائم، اختلت موازين القوة عالميًا واندلعت الحرب العالمية الثانية لوضع حدّ لتصرفات هتلر، يقول إنيس في هذا الصدد أن الحرب العالمية الثانية أصبحت لدرجة كبيرة جدًا من أسباب الصراع بين الصحيفة والإذاعة[1] في دلالة على أثر الإذاعة على العلاقات الدولية بشكل عام والحرب بشكل خاصّ.

هناك العديد من أوجه الشبه بين ما حدث في ذلك الزمان وما يحدث اليوم، ولكن هناك أيضًا أوجه إختلاف، نسردها بالإضافة إلى ما يحدث بغية توقع ما قد تشده العلاقات الدولية في المستقبل.

المطلب الثاني: الأحداث الحالية

إنّ النظام العالمي أو الدولي القائم حاليًا تبلورت معالمه بشكل تام بعد انهيار الإتحاد السوفياتي بشكل عام وأحداث أيلول ٢٠٠١ بشكل خاص، على الصعيدين السياسي والإقتصادي تسعى الولايات المتحدة الأميريكية، الدولة الأقوى عسكريًا وإقتصاديًا، إلى نشر المبادئ الديمقراطية (أو بحجة نشرها) والليبرالية من خلال تحرير الأسواق وإلغاء القيود الجمركية وحماية الطرق التجارية في أعالي البحار وغيرها. هذا النّظام تعرض لنكستين قوضت دعائمه بشكل كبير، الأولى هي الأزمة الإقتصادية عام ٢٠٠٨ التي أثّرت على إقتصادات العالم بأجمعه ولكن على الصعيد الداخلي للولايات المتحدة خسر العديد من السكان بيوتهم وعملهم وزادت معدلات الفقر وعدم المساواة بين المواطنين. أما النكسة الثانية فكانت وباء كورونا الذي أثّر على الكرة الأرضية بأجمعها دون إستثناء وشملت تداعيتها الصعيدين السياسي والإقتصادي، أولاً أغلقت الدول الحدود على نفسها وتراجعت وتيرة الإعتماد المتبادل المعقّد والعولمة خاصة عندما لم تتعاطَ الدولة العظمى بالشكل المطلوب من هكذا دول "قائدة للنظام العالمي"، ثانيًا وعلى الصعيد الإقتصادي فقد شبّه العلماء الخسائر بتلك التي حصلت عام ١٩٢٩ بل أكثر منها.

[1]Harold Adams Innis, op. cit. p.81

بالنسبة للوسائل الإتصالية في وقتنا الحاضر فهي كذلك تؤثر على الصعيدين السياسي والإقتصادي. على الصعيد السياسي أدّت الوسائل تلك خاصة في الدول الغربية الديمقراطية إلى المساعدة على ظهور وتضخيم حالة من اليمين المتطرف والتّباعد القطبي بين صانعي القرار والمجتمعات ما يؤدّي إلى عدم التوصل لحلول وسطية للمشاكل التي تواجه هذه الدول، وهي عودة إلى "القبليات" والعصبيات القديمة، حيث تحمل أفكار معادية للعولمة وتبادل السلع والأشخاص والأفكار من دون قيود وخاصة لأنّ هؤلاء الأشخاص في الدول الغربية تأثّروا بشكل سلبي من زيادة العولمة وخاصة وصول المهاجرين المسلمين والتخوّف من تحوّل أوروبا الى "قارة مسلمة". كما يصل الأمر في بعض هذه المجموعات خاصة في الولايات المتحدة إلى رفض القيم الديمقراطية والتنوّع العرقي والنّظام العالمي، والجدير بالذكر هنا أنّ ترامب وضع بعض من هذه الأفكار موضع التنفيذ.

أمّا إقتصاديًا فلقد بدلت المنصّات الإجتماعية من طبيعة الأسواق التي أصبحت الكترونية وتلجأ إلى الإعلانات التجارية المستهدفة، وهي نفسها، أي الشركات كفايسبوك وغوغل أصبحت قوية لدرجة كبيرة جدًا بحيث إنهيارها على سبيل المثال سوف يؤدّي إلى أزمة إقتصادية سيئة، وبالتالي إنّ المبادئ الإقتصادية والقوانين التجارية بجب أن تتغيّر لتتناسب مع طبيعة عمل تلك المنصّات، فهي لم تعد مجرد "موقع لجمع الناس والتعارف" بل هي ذات تأثير كبير على إقتصاد وسياسات الدول.

إنّ إنحلال الديمقراطية والليبرالية من الداخل كما ذكرنا يقابله حرب عليها من الخارج، فبالإضافة إلى مساهمة المنصّات الإجتماعية بتقوية قبضة الأنظمة الشمولية عبر مراقبة مواطنيها من خلال هواتفهم الذكية واستعمالهم لها، فإنّ هذه الأنظمة تقوم بتسخير المنصّات في حربها على الدول الديمقراطية من خلال نشر الأخبار الكاذبة ونظريات المؤامرة التي تؤدّي الى زيادة التطرف عند اليمين، والهدف هو إنقسام المجتمع الأميريكي أكثر مما هو عليه. هذا التراجع في العملية الديمقراطية داخل الدول الغربية سيقابله تراجع للنظام العالمي "الديمقراطي والليبرالي"، فمن سيحمي النظام العالمي هذا إذا كانت الدمقراطية في تلك الدول تتراجع ويحل محلها لغة القوة والسلاح كما حصل في واشنطن وغيرها من المناطق من ظهور مسلح وحوادث قتل باسم العرقية.

إنّ أوجه الشبه بين الماضي والحاضر هو وجود الأزمات الإقتصادية التي ساهمت بصعود التّطرف وإستغلالها من قبل سياسيين شعبوين يخاطبون أحاسيس الجمهور بطريقة خلّاقة، فهتلر لديه الكاريزما وترامب لديه تويتر، وإذا كان الشيوعيون هم العدو الأكبر للحركة النازية والفاشية فإن العدو اليوم هو متعدد الأقطاب ولكن أبرزهم المسلمين وخاصة المهاجرين منهم. لكن الفرق هو أن ترامب لا يضع اللوم على النظام الرأسمالي، فهو مطوّر عقاري ورأسمالي بامتياز، بل يتهم السياسات الخارجية التي تضرّ الولايات المتحدة، أمّا هتلر وموسوليني فلقد وضعوا برنامجًا بديلًا كليًا للنّظام الليبرالي القائم وقتها، والمفارقة اليوم أنّنا نعيش زمن النيوليبرالية وليس الليبرالية "المتوحشة" تلك.[1]

من الممكن الإستنتاج أنّ النّظام العالمي والعلاقات الدولية قبل منصّات التواصل الإجتماعي لن تكون كما بعدها، وخاصة إذا لم يتم وضع حدود لتأثير المنصّات السياسي والإقتصادي. فالإعتماد المتبادل المعقد سينخفض مع السياسات الحمائية والحرب التجارية بين أمريكا والصين وإقفال الحدود بين الدول بسبب كورونا، سيطرأ تعديلات على المؤسسات الدولية القائمة بسبب تراجع قوة الولايات المتحدة أولاً وتراجع حدّة الديمقراطية فيها ثانيًا وصعود قوة عالمية عظمى جديدة غير ديمقراطية ثالثًا. أما بالنسبة لإندلاع حرب كالتي اندلعت جراء صعود الحركات المتطرفة النازية والفاشية فإنّ هذا الأمر مؤجل وبعيد المنال طالما توازن القوى لا يزال ضمن المعقول ولا تقوم دولة معينة بمخالفة القوانين الدولية بشكل كبير كما فعل هتلر ويستدعي تدخّل باقي الدول لإعادة التّوازن. و بالتّالي نظام الأحادية القطبية الذي بدأ بعد العام ١٩٩١ من الممكن الجزم أنّه انتهى وعدنا إلى نظام متعدد الأقطاب بمساعدة من الإنترنت ومنصّات التواصل الإجتماعي.

[1]Enzo Tranverso, op. cit., p. 26-27

الخاتمة

لمعرفة تأثير منصّات التّواصل الإجتماعي على العلاقات الدولية طرحنا مجموعة من الإشكاليات الأساسيّة والثانوية وافترضنا إجابات عليها، منها من اثبتت صحتها ومنها من تبيّن أنّها غير صحيحة. أولاً: الإشكالية الأولى كانت ما تأثير التواصل وانتقال المعلومات بين البشر عبر التاريخ على العلاقات بين المجتمعات والملكيات وبعدها الدول؟ افترضنا أنّ التواصل وإنتقال المعلومات يؤدّي إلى الحروب والعنف بين المجتمعات، تبيّن لاحقًا خلال البحث أنّ كلَّ تبدّل كان يحصل بطريقة التّواصل وانتقال المعلومات بين البشر كان يؤثّر على كافة الصُعد الإجتماعية والسياسية والإقتصادية ولكن ليس بالضرورة أن تؤدّي إلى الحروب والعنف دائمًا.

ثانياً: تمّ طرح التساؤل التّالي: كيف تعمل مواقع التّواصل الإجتماعي؟ وما هو تأثيرها النّفسي والإجتماعي والسياسي؟ تبيّن أنّ تلك المواقع تعمل بطريقة جديدة ومختلفة عن سابقاتها عبر استعمال برامج ذات ذكاء اصطناعي، وتهدف عبر ذلك إلى زيادة أرباحها بشكل مضاعف، ولكن هذه الطريقة لا تأتي دون تأثيرات جانبية ولكن عميقة جدًا تطال كل شخص يستخدمها وهي المشاكل النفسية من قلق وأرق واكتئاب وغيرها وهي بدورها تنتقل إلى المجتمعات وبالتالي السياسة، وهناك بالمقابل بعض الحسنات حيث تساعد المنصّات المحلات التجارية وغيرها بنشر منتجاتها وأفكارها بطرق مبتكرة حيث من الصعب تخيّل الأسواق اليوم من دونها. إذًا الإفتراض الموضوع أوّل البحث أي " مواقع التواصل الإجتماعي تؤدّي إلى مشاكل نفسية تنتقل إلى المجتمع وبالتّالي إلي السياسة، ولكن لديها بعض الإيجابيات" أثبتت صحته.

ثالثاً: وهي الإشكالية الأساسيّة أيّ ما مدى تأثير مواقع التّواصل الإجتماعي على العلاقات الدولية؟ كانت الفرضية : مواقع التواصل الإجتماعي تؤثّر بشكل كبير على مسار العلاقات بين الدول بشكل سلبي. لكن تبيّن أنّ مواقع التّواصل الإجتماعي تؤدّي إلى زيادة التعصّب الناتج عن العولمة، الذي بدوره يضعف الدول الغربية وخاصّة الولايات المتحدة الأمريكية ما يؤدّي إلى تغيّرات على النّظام العالمي من ناحية انتهاء الأحادية القطبية وتغيير هيكلية الأمم المتحدة وخاصة

الأعضاء الدائمين العضوية في مجلس الأمن. وبالتّالي الفرضة تلك غير صحيحة بشكل كامل، لأنّ التأثير ليس بالضرورة سلبي.

رابعاً: هل هناك من إمكانية لحصول صراعات دولية بسبب إنتشار الأفكار المتطرّفة والشعبوية؟ تمّ الإفتراض أنّ الأفكار المتطرّفة والشعبويّة تؤدّي إلى صراعات دولية. ولكن تبيّن أنّ الصراع القائم حاليًا هو ألكتروني يتمّ بين الدول باستخدام الإنترنت ومنصّات التّواصل الإجتماعي وطالما لا يوجد دولة تنتهك القوانين الدولية بشكل علني ومستمر وتغيّر في موازين القوى بشكل كبير، لذا لن يحدث أيّ صراع دولي.

هكذا نكون قد أثبتنا صحة فرضية واحدة المتعلقة بعمل المنصّات أمّا باقي الفرضيات فقد تمّ إثبات عدم صحتها بشكل جزئي أو كامل.

إنّ كل ما اخترعته البشرية كان يتم استخدامه بطريقتين إيجابية وسلبية. على سبيل المثال إختراع الفرد نوبل للبارود الذي كان لأهداف سلميّة ولكن استخدم لصناعة الأسلحة الحربية والقنابل ما دفع الأخير إلى إنشاء جائزة سنوية تُعطى إلى كلّ من تثبت إنجازاته أو إختراعاته منفعة للبشر. أمّا في حقل الإتصالات فإنّ الوسائل الإتصالية كافة تمّاستعمالها بشكل سلبي من الكتابة إلى الصحف والإذاعة والتلفاز، وأخيرًا الإنترنت ومنصّات التّواصل حيث لا يوجد قوانين ناظمة لهذا القطاع بشكل كاف، فالشركات المشغلة هي عمالقة في عالم التكنولوجيا والإقتصاد وتتهم باحتكار سوق الإتصال الحديث ولا يوجد امكانية لأي شركة حديثة النشأة وصغيرة الحجم بمنافستها. كما أنّ الحرية التي تساعد على نشرها يتم استخدامها من دون ضوابط وقوانين ناظمة على سبيل المثال الشتم والتنمر الذي يقوم به المستخدمون ضد بعضهم البعض. من المعروف أنّ الحرية دون ضوابط تؤدّي إلى الفوضى والسوق الحر دون قوانين يأكل فيه القوي الضعيف وبالتالي...

إنّ هذا العالم الإلكتروني الإفتراضي الحديث النشأة يجب العمل على قوننته ووضع الضوابط على عمله كما تمّ سابقًا مع الإذاعة والتلفاز مثلاً حيث تمّ وضع القوانين التي تنظم توزيع الموجات على الشركات وإنشاء اللجان التي تراقب ما يعرض ليناسب أبسط الأمور الأخلاقية مثلاً دون التأثير على الحريات الإعلامية والصحفية المصونة في شرعة حقوق الإنسان.

الفهرس

المقدمة----------٢

الفصل الأول: الوسائل الإتصالية من اللغة الى التواصل الإجتماعي----------٥

المبحث الأول: تطور وتبدل إنتقال المعلومات----------٥

الفرع الأول:اللغة والكتابة----------٦

الفرع الثاني: الطباعة والصحف----------١٠

الفرع الثالث: الإذاعة والتلفاز ----------١٧

الفرع الرابع: الإعلام والتأثير على الرأي العام----------٢١

المبحث الثاني: الإنترنت ومنصات/مواقع التواصل الإجتماعي----------٣٢

الفرع الأول: تطور الإنترنت ومنصات التواصل الإجتماعي----------٣٣

الفرع الثاني: طريقة عمل منصات التواصل الإجتماعي----------٣٦

الفرع الثالث: التأثيرات على الصعيد الشخصي----------٤٢

الفرع الرابع: التأثيرات على الصعيد المجتمعي----------٤٧

الفصل الثاني: منصات التواصل الإجتماعي والعلاقات الدولية----------٥٥

المبحث الأول: الأثر السياسي لمنصات التواصل الإجتماعي----------٥٥

الفرع الأول: دور المنصات في الثورات----------٥٧

الفرع الثاني: إستخدام الأنظمة الشمولية لمنصات التواصل----------٦٢

الفرع الثالث:التطرف----------٦٨

الفرع الرابع: الإنتخابات – الولايات المتحدة الأميريكية نموذجاً----------٧٦

المبحث الثاني: تأثير المنصات على العلاقات الدولية----------٨١

الفرع الأول: العلاقات الدولية بعد انهيار الإتحاد السوفياتي----------٨٢

الفرع الثاني: عولمة، فتطرف، فإنكفاء(Deglobalization)----------٨٧

الفرع الثالث: الحرب الإلكترونية----------٩٣

الفرع الرابع:مقارنة بين الماضي والحاضر----------٩٩

الخاتمة----------١٠٤

الفهرس----------١٠٦

قائمة المصادر والمراجع----------١٠٨

قائمة المصادر والمراجع

العربية

١– إبراهيم موسى، "**الفكر السياسي الحديث والمعاصر**"، دار المنهل اللبناني، بيروت، ٢٠١١

٢– الحسن حسن، "**الإعلام والدولة**"، مطابع صادر، بيروت، ١٩٦٥

٣– المندلاوي محمد محمود ، "**الدعاية وخفايا الإرهاب حرب بلا رصاص**"، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٠

٤– حبيب كميل ، عبد الفتاح عمورة، "**تحليل نظريات السياسة الدولية والسياسة الخارجية وتداعياتها على الشرق الأوسط**"، دار العلم، دمشق، ٢٠١٩

٥– حبيب كميل ، حازم البني، "**من النمو والتنمية الى العولمة والغات**"، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ٢٠٠٠

٦– حجازي مصطفى، "**حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوة الأصولية**"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠

٧– حسين خليل ، "**النظام الدولي المفاهيم والأسس.. الثوابت والمتغيرات**"، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٣

٨– حسين عبدالله ، "**الصحافة و الصحف**"، ، دون دار ومكان نشر، ١٩٤٨

٩– حمود عبد الحليم ، "**كواليس الدعاية الأميريكية**"، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٨

١٠– حيدر بادية ، "**الأصولية المسيحية في العالم**"، شركة السفيرش.م.ل، العدد الرابع بعد المئة، ٢٠١٢

١١– حيدر محمود ، "**أميركا بما هي دولة دينية**"، "، في المنهاج، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، العدد ٥٦، بيروت، ٢٠١٠

١٢– دكت جون ، "**علم النفس الإجتماعي والتعصب**"، تعريب عبد الحميد صفوت ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠

١٣– سليمان عصام، "**مدخل الى علم السياسة**"، منشورات الحلب الحقوقية، بيروت، ٢٠١٥

١٤– علي ظاهر حسين، "**مدخل الى دراسة العلاقات الدولية**" ، دار المواسم، بيروت، ٢٠١٢

١٥– عواد علي، "**الدعاية والرأي العام**"، مؤسسة نزيه كركي، بيروت، ١٩٩٣

١٦– قتلوني مصعب حسام الدين ، "**ثورات الفيسبوك مستقبل وسائل التواصل الإجتماعي في التغيير**"، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٤

١٧- لاكوست إيف ، "**العلامة إبن خلدون**""، ترجمة الدكتور ميشال سليمان، دار الفارابي، بيروت،٢٠١٧

١٨- محمد صاحب سلطان، "**وسائل الإعلام والإتصال دراسة في النشأة والتطور**"، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢

١٩- منصوري نديم ، "**سوسيولوجيا الإنترنت**"، منتدى المعارف، بيروت، ٢٠١٤

٢٠- مهنا فريال، "**علوم الإتصال والمجتمعات الرقمية**"، "، دار الفكر، دمشق،٢٠٠٢

٢١- مهنا فريال، "**الاعلام والنظم السياسية**"، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ١٩٩٣

الأجنبية

1- Bolter Jay D., "**Writing Space the Computer, Hypertext, and the History of Writing**", Lawrence Erlbaum Associates, New Jersey,1991

2- Carañana Pedro, Broudy J. , D. and Klaehn, J. (eds.). **The Propaganda Model Today: Filtering Perception and Awareness**. London: University of West- minster Press.2018 DOI: https://doi.org/10.16997/book27.a. License: CC-BY- NC-ND 4.0

3- Chomsky Noam, "**What Makes Mainstream Media Mainstream**", Z Magazine, October 1997

4- Dunbar Robin, "**Grooming, Gossip, and the Evolution of Language**", Faber and Faber, London, 1996

5- Cooley Charles Horton, "**Social Organization**", Charles Scribner's Sons, New York, 1909

6- Eisenstein Elizabeth L., "**The Printing Press as an Agent of Change**", Cambridge University Press, New York, 1979

7- Enzo Tranverso, "**The New Faces of Fascism**", Translated by David Broder, Verso, London, 2019

8- Gerbner George and Gross Larry, "**Living with Television: The Violence Profile**", in Journal of Communication, Annenberg School of Communication, Spring 1976, Volume 26:2

9- Hellinger Daniel C., "**Conspiracies and Conspiracy Theories in the Age of Trump**", Palgrave Macmillan, Missoury, 2019

10-Huntington Samuel P., "**The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order**", Simon&Schuster, New York, 2011

11- Innis Harold Adams, "**Empire And Communication**", Oxford: Clarendon Press, London, 1950

12- Innis Harold A., "**The Bias of Communication**", University of Toronto Press Incorporated, Toronto, 2008

13-Joseph S. Nye, Jr., " **Soft Power The Means to Success in World Politics**", Public Affairs, New York, 2004

14-Keohane Robert O., Nye Joseph S., "**Power and Interdependence**" Longman, 4th Edition, Boston, 2012

15-Lenin Vladimir Il'ich , "**About the Press**", International Organisation of Journalists, Prague, 1972

16-Maffesoli Michel, "**The Time of the Tribes The Decline of Individualism in Mass Society**", Translated by Don Smith, SAGE Publications, London, 1996

17-Main Thomas J., "**The Rise of the Alt-right**", Brookings Institution's Press, Washington, D.C, 2018

18-Marx Karl & Engels Frederick, "**Collected Works**", Lawrence & Wishart/Electric Book, London, Volume 1, Karl Marx 1835/43, 2010

19-Meyrowitz Joshua, "**No Sense of Place The Impact of Electronic Media on Social Behavior**", Oxford University Press, Oxford, New York, 1986

20-Orwell George, "**1984**", Signet Classic, New York, 1950

21-Rakove Jack N., "**The Annotated U.S. Constitution and Declaration of Independence**", The Belknap Press of Harvard Univerity Press, Cambridge, 2009

22- Robinson Andrew, "**Writing And Script A Very Short Introduction**", Oxford University Press, New York, 2009

23- Segal Adam, "**When China Rules the Web**", Foreign Affairs, September/October 2018, 97, 5

24- S.Herman Edward, Chomsky Noam, "**Manufacturing Consent The Political Economy of the Mass Media**", The Bodley Head, London, 2008

25- Shirky Clay, "**The Political Power of Social Media**", Foreign Affairs, 90, 1, January/February 2011, p.٣٤

26- Singer P.W and T. Brooking Emerson, "**Like War The Weaponization of Social Media**", Mariner books, New York, 2018

27- Sproull Lee , Kiesler Sara , "**Connections: New Ways of Working in the Networked Organization**", The Mit Press, Cambridge, 1991

28- Turow Joseph, "**Media Industries: The production of News and Entertainment**", Longman, New York, 1984

المواقع الإلكترونية

١- موقع Statista ، "TV advertising spending in North America 2000-2022"، ٢ حزيران ٢٠٢١، تاريخ الدخول ٢٢ حزيران ٢٠٢١، statista.com/statistics/882008/tv-advertising-expenditure-in-north-america

٢- موقع فايسبوك، "**عن فايسبوك**"، معلومات عن الشركة، تاريخ الدخول ٢٠٢١/٨/٩ https://about.facebook.com/company-info/

٣- موقع تويتر، "عن تويتر" تاريخ الدخول ٢٠٢١/٨/٩ https://about.twitter.com/en

٤- موقع فايسبوك، "**التحضير للإنتخابات**"، تاريخ الدخول: ٢٠٢١/٨/٢٧، https://about.facebook.com/actions/preparing-for-elections-on-facebook/

٥- موقع غلوبال فايننس، تاريخ الدخول ٢٠٢١/٨/٩ https://www.gfmag.com/global-data/economic-data/largest-companies/

٦- موقع مجلة فوربس، تاريخ الدخول 2021/٨/٩ https://www.forbes.com/lists/global2000/#42761a085ac0

7- "**The Islamophobic signs that defined the Christchurch terrorist**", TRT World, 2019, تاريخ الدخول: ٢٠٢١/٨/٢٤, https://www.trtworld.com/asia/the-islamophobic-signs-that-defined-the-christchurch-terrorist-24982

٨- ميثاق الأطلسي لعام ١٩٤١، تاريخ ميثاق الأمم المتحدة، الموقع الإلكتروني للأمم المتحدة، تاريخ الدخول: ٢٠٢١/١/١٦، https://www.un.org/ar/sections/history-united-nations-charter/1941-atlantic-charter/index.html

٩- ميثاق الأمم المتحدة، الفصل الأول: مقاصد الهيئة ومبادئها، المادة الأولى من موقع الأمم المتحدة تاريخ الدخول ٨/٣٠/

https://www.un.org/ar/about-us/un-charter/full-text/

10- Zachary B. Wolf and JoElla Carman, "**Here are all the treaties and agreements Trump has abandoned**" , CNN, February 2019, https://edition.cnn.com/2019/02/01/politics/nuclear-treaty-trump/index.html, تاريخ الدخول: ٩٢٠٢١/٤

11- Oona Hathaway, "**Reengaging on Treaties and other International Agreements**", Just Security, October 2020, https://www.justsecurity.org/72656/reengaging-on-treaties-and-other-international-agreements-part-i-president-donald-trumps-rejection-of-international-law/, تاريخ الدخول : ٢٠٢١/٩/٤

الوثائقيات العلمية

1- "**The Social Dilemma**", Jeff Orlowski, Tristan Harris, Netflix, Exposure Labs-Argent Pictures-The Space Program, 2020, California, https://www.netflix.com/lb-en/title/81254224, تاريخ الدخول ٢٠٢١/٨/٩

2- "**How to Become a Tyrant**", Peter Dinklage, Netflix, 2021, تاريخ الدخول: ٢٠٢١/٨/٢١, https://www.netflix.com/lb-en/title/80989772

3- "**The Great Hack**", Karim Amer, Jehane Noujaim, The Othrs, Netflix, 2019, تاريخ الدخول: ٢٠٢١/٨/٢٧, https://www.netflix.com/lb-en/title/8011754